



مذكرات
في
تاريخ آداب اللغة العربية

لطلبة السنة الرابعة من القسم الأول

من مدرسة القضاء الشرعي

على وفق المقرر عليها من أملاء الأستاذ (الشيخ محمد المهدي)

١٩١٨ - ١٩١٩ م

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حال اللغة العربية

من ابتداء القرن الثاني الهجري الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ

انتشار اللغة العربية - كان العرب أسرع الأمم الفاتحة في نشر لغتهم لأسباب جمّة : السبب الاول . أن لغتهم لغة دين وقد كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويريدون على أثر الدخول أن يعرفوا أحكام الله فكانوا يسارعون الى تعلم لغة العرب بالمشاهدة والتعلم وقد وضع الامام على كرم الله وجهه قواعد للغتهم وأخذ المطمون منهم كآبي الاسود وأضرابه وتلاميذهم يعلمون الناس في الامصار : السبب الثاني . عنايتهم باكثار المترجمين وإدماجهم فيهم بالمصاهرة ووحدة اللسان العربي حتى لا تشرّبهم الأمم ويضيع جنسهم فيها وقد ظهرت هذه العناية أتم الظهور في الاندلس

السبب الثالث . كثرة الرحلة الى الجهات القاصية للجهاد والمراطة ولهذا

دخل الاندلس (وهو أقصى ما وصل اليه المسلمون في فتوحهم الغربية) عدد من التابعين لا يريدون إلا أن يكونوا مجاهدين أو مرابطين كمحمد بن أوس بن ثابت الانصارى الراوى عن أبى هريرة وفضالة بن عبيد الراوى عن عبد الله بن عمر ويزيد بن قاسط المصرى الراوى عن عبد الله بن عمرو بن

العاص وموسى بن نصير الذى ينسب الفتح اليه : السبب الرابع . كثرة الخيرات فى البلاد المفتوحة هذا وقد سارت اللغة سيرا حثيثا فى كل الاقطار التى دخلها الاسلام وحلت محل لغات كثيرة وعربت أما عدة وكان السلطان العربى يزيد بها انتشارا وثباتا وقد بلغت أوج غزها فى عهد الدولة العريية البحتة وهى دولة بنى أمية فقد كان أسلوبها أصح الاساليب وبينها أجلى بيان وقد كانت لغة لسان وعلم ودام ذلك الى أن كثر الخلطاء من الشعوب المنافسة للعرب فى الملك أيام قيام الدعاة الى المذاهب الدينية والسياسية فى أواخر بنى أمية

وقد ظهرت اللغة العريية من ذلك العهد أطوار جديدة فى التخاطب بها وفى ثرها ونظمها وكتابتها وخطابها أما التخاطب بها فقد أخذ يتغير بالتدريج الى أن فارقت لغة العلم لغة اللسان وذلك لكثرة المخاطبين من الفرس والترك والروم وغيرهم بالمصاهرة والمناصب والاعمال فكان الناشئ يسمع فى العبارة عن المقاصد أساليب غير التى كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده ويسمع أساليب العرب أيضا فيختلط عليه الامر فيأخذ من هذه ومن تلك فتستجد له ملكة ناقصة عن الأولى ثم تتناقص فى الجيل الذى بعده وهكذا الى أن تصير بالعجة أشبه ومن هنا جاء فساد السليقة للعرب الخالص . ولقد كانوا يسمعون اللحن فبتألمون ولا يجدون السبيل الى مقاومة تياره الجارف لاشتداد الحاجة الى مخالطة

الاعاجم ولقلة الوسائل الى التعليم العام في ممالكهم الواسعة وقد كانوا يرسلون بأولادهم الى البادية ليسمعوا من أهلها العربية الصحيحة كما صنع معاوية بابنه يزيد ولكن ذلك كان في أفراد قليلين فلم يكن صادًا لقشو اللحن حتى في ألسنة العرب أنفسهم فقد قال الحجاج للشعبى يوما كم عطاءك فقال ألفين فقال الحجاج كم عطاؤك فقال ألفان قال كيف لجت أولا فقال لحن الامير فلجنت فلما أعرب أعربت وهذا عبد الملك بن مروان يقول شينى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن . وقد كان ظهور الفساد بادئ بدء في الامصار والمدن ثم سرى الى القرى والضياع ثم الى البدو بعد زمن غير قصير لكثرة ابتعادهم عن الاعاجم وقلة مصاهرتهم هذا

وأما كتابتها فقد حفظت من اللحن بالعلوم التي وضعتها العرب للغة وقد كان كتابهم من أمهر البارعين فيها على أن الكتابة لا تصدر إلا بعد تمحيص وترو ولا كذلك الكلام في أكثر أحواله وقد حافظ المسلمون على لغة الكتابة فبقيت صحيحة على الجملة حتى اليوم

النثر — النثر كل كلام ألقته متفرقا غير موزون بزنة ولا مقيد بقافية ومنه المرسل والمسجع وأكثره ورودا واستمالة المرسل لأنه أيسر . وقد كان النثر في بني أمية فطريا مغربا عن المقصود بأيسر عبارة سليما في جملة من الاقايظ البخيلة والاصطلاحية بعيدا عن التكلف والصناعة ودام ذلك الى عهد عبد الحميد الكاتب في آخر الدولة الاموية

فلما جاء عبد الحميد وأضرابه ظهر للنثر طور جديد هو طور الصناعة والتعسف وإطالة الديباجة والدعاء في صدور الكتب والرسائل وكثرة الترادف وقد سرى اليهم هذا من القرس ولم يزل حال النثر كذلك الى عصر أبي الفضل محمد بن الحسين المشهور بابن العميد . ولا يمتاز الكتاب بالصنعة الجيدة في هذه الطبقة قال كثير من الكتاب بدئت الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد ومن كتاب هذه الطبقة المحيدين ابن المقفع وعمرو بن مسعدة وابراهيم بن العباس الصولي والحسن بن وهب والجاحظ وعبد الله بن طاهر والفتح بن خاقان وابن المعتز ثم جاء بعد هؤلاء طبقة أخرى من الكتاب جعلوا للنثر طورا جديدا هو طور السجع والبديع والخيالات وقد تجلى هذا الطور من عهد ابراهيم بن هلال الصبائي الى عهد الهادي كاتب صلاح الدين الايوبي ومن كتاب هذه الطبقة أبو بكر الخوارزمي والصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني وأبو الفتح البستي وأبو الفضل الميكائيلي والحريري والقاضي الفاضل عبد الرحيم اليسانى . فأما الذين جاءوا بعد هؤلاء فقد كان لهم طور التعقيد والخروج عن الحد في الصناعة اللفظية وهذا الطور قد طالت مدته بعد اقراض الدولة العباسية من بغداد ثم من مصر .

وما زالت الكتابة تسخف وتثقل حتى ملتها الطوائف وطلبت لها وما ولم تخلع منها الا في العهد الاخير ومن أحسن كتاب هذه الطبقة ابن خلدون نبيه — لا ينبغي أن يفهم من هذا التقسيم أن النثر في كل طبقة من

هذه الطبقات يكون على حالة واحدة من حيث الصحة والفصاحة والبلاغة
والجزالة فانا نجد في عصرنا من يكتب وكأنه نشأ في صميم العرب ومنهم
من يكتب وينظم وليس له من تثره ونظمه إلا صورة الاسطر مكتوبة من
اليمن الى اليسار وانما نمت الطبقة بالصفة الدائمة فيها

أمثلة مختلفة من التثر في هذه العصور

من أوجز ما كتبه عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بني
أمية كتابه في العناية ببعض الاشخاص وهو
حق موصل كتابي عليك كحقه على اذ جعلك موضعاً لامله ورآني أهلاً
لحاجته وقد انجزت حاجته فصدق أهله

ومن أوجز ما كتب يزيد بن الوليد بن عبد الملك الى مروان بن محمد
وقد تلسكاً في بيعته بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين يزيد
ابن الوليد الى مروان بن محمد أما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى
فاعتمد على أيهما شئت والسلام

ومن تثر عبد الله بن المقفع في كتابه الدرة اليتيمة . لا تجالس أحداً
بغير طريقتك فانك ان أردت لقاء الجاهل بالعلم والجاني بالثقة والعبي باليان
لم ترد على أن تضع عقلك وتؤذى جليستك بحملك عليه قل ما لا يعرف
وغمك آياه بمثل ما يقيم به الرجل القصيح من مخاطبة الاعجمي الذي
لا يفقه . واعلم أنه ليس من علم تذكره عند غير أهله إلا عاوده ونصبوا له وشقوه

عليك وحرصوا على أن يجمعوه جهلا حتى أن كثيرا من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس يحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويتم به
(ومما كتبه الصاحب ابن عباد في استزاره

مجلسنا يا سيدي مفتر اليك ممول في اغنامه عليك قد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها بمنالك وأقسم غناؤه لا طاب أو تيه أذناك فأما خدود نأرنجه فقد اجمرت خبلا لا بطانك وأما عيون زجسه فقد حدثت تأميلا للقائك فبحياتي عليك لما تجلت ثلا ينجب من يومى ما طاب ويمود من
هي ما طار)

x ومما كتبه عمرو بن مسعدة الى عبد الله المأمون الخليفة العباسي السابع يستعطفه . بسم الله الرحمن الرحيم كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والافتقاد على أحسن ما يكون عليه طاعة جنده تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم

وقد قال المأمون بعد أن قرأ هذا الكتاب سمعت الرشيد يقول البلاغة الثمر من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام ودلالة القليل على الكثير فلم أتوم أن الكلام يرد على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب والله لأقضين حق صاحبه وأمر للجند باعطاء ثمانية أشهر

ومن أوجز ما كتب ابرهيم بن العباس الصولى بسر من رأى عن لسان الخليفة الى بعض الخارجين يتهده أما بعد فان لامير المؤمنين أناة

فإن لم تكن عقب بعدها وعيدا فإن لم يكن أغنت عزائم والسلام

وكتب الحسن بن وهب في التوصية

كتابي اليك خططه يميني وفرغت له ذمعي فما ظنك بحاجة هذا
موقعا مني أتراني أقبل العذر فيها أو أقصر في الشكر عليها وابن أبي الشيص
قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت أيدينا تنبسط يره ما عدانا الى غيرنا
فاكتف بهذا منا

ومن كتب الجاحظ الى محمد بن عبد الملك الوزير يستعطفه

بسم الله الرحمن الرحيم أعاذك الله من سوء الغضب وعصمك من
سرف الهوى وصرف ما أعارك من القوة الى حب الانصاف ورجع في
قلبك اشارة الاناة قد خفت أيدك الله أن أكون عندك من المنسوين الى
نزع السفهاء ومجانبة سبل الحكماء وبعد قد قال عبد الرحمن بن حسان
ابن ثابت

وان امرأ أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسميد
وقال الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

فإن كنت اجتراء عليك أصلحك الله فلم أجترئ إلا لان دوام
توافك عني شبيه بالاهمال الذي يورث الاغفال والقو المتتابع يؤمن من المكافاة
ولذلك قال عينة بن حصين بن حذيفة لثمان رحمه الله عز كان خيرا لي منك

أرهنى فأعطينى وأعطينى فأعطينى فإن كنت لا تهب عقابي أيدك الله لخدمة
فهبه لا يديك عندي فإن النعمة تشفع في النعمة وألا تقبل ذلك لذلك فعد
إلى حسن العادة وإلا فاقبل ذلك لحسن الأحداث وإلا فأت ما أنت أهله
من المفردون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة فسبحان من جعلك تفو عن
التمعد وتجاني عن عقاب المصير حتى إذا صرت إلى من هفوته ذكر وذنبه
نسيان ومن لا يعرف الشكر إلا لك والانعام إلا منك هجبت عليه بالعقوبة
وأعلم أيدك الله أن شين غضبك على كزين صفحك عني وإن موت ذكرى
مع انقطاع سببي منك كحياة ذكرك مع اتصال سببي بك وأعلم أن لك فطنة
عليم وغفلة كريم والسلام

وقال يصف اللسان : اللسان أداة يظهر بها حسن البيان وشاهد ينبتك
عن فائب وناطق يرد الجواب وحاكم يفصل الخطاب وشافع تدرك به الحاجة
وواصف تعرف به الحقائق وواعظ ينهي عن القبيح وبشير ينفي الحزن
ومؤنس ينهب بالوحشة وممتن يدفع الضغينة وزارع ينبت المودة وحاصد
يستأصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومادح يستحق الزلفى

وكتب ابن الرومي في التنصل والاعتذار : ترفع عن ظلمي إن كنت
بريئا وتفضل بالمعفو إن كنت مسيئا فوالله أنى لأطلب غفوَ ذنب لم أجنه
وأنحسن الأقالمة مما لا أعرفه لتزداد طولاً وأزداد تدللاً وأنا أعيد حالي عندك

بكرمك من واش يكيدنها وأحرصها بوفائك من باغ يحاول إفسادها
وأسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك وعلى من رجائك
بحيث أستحق منك

وللصاحب في التهته بينت : أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الأبناء
وجالبة الاصهار والاولاد الاطهار المبشرة باخوة يتناسقون نجباء يتلاحقون
فلو كان النساء كمثل هذى لفضلت النساء على الرجال
وما التانيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهلال
فادرع يا سيدي اغتباطا واستأنف نشاطا فالدينا مؤنثة والرجال يخدمونها
والذكور يبدونها والارض مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية
والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب والنفس مؤنثة
وبها قوام الابدان وملأ الكون الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تنصرف الاجسام
ولا عرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ولها بمت الرسل فهنيئا هنيئا
ما أوليت وأوزعك الله شكر ما أعطيت وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد
وما بقي الأمد وكما عمر ليد

ولأبي الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان الهمداني في الشوق :
أراني أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس أو هبت الريح أو نجم النجم
أو لمع البرق أو عرض النيث أو ذكر الليث أو ضحك الروض ان للشمس
حياء وللريح رياء وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناه وسناه وللنيث نذاه

ونداء وفي كل صالحة ذكراه وفي كل حادثة أراه فكيف أنساه واشدته
شوقه عسى الله أن يجمعني وإياه

✧ ومن رسائله يمزى بعض اخوانه عن أبيه ويحذره التنبير والتقتير :
وصلت رقمتك ياسيدي والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير
ولكنك بالعزاء أجدر والعزاء عن الأثرة رشدك أنه النى وقد مات الميت
فليحى الحى فاشدد على مالك بالحنس فأنت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك
الشيخ وكيكك تضحك ويبكى لك وقد مولك بما ألف بين سراه وسيره
وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيعجم الشيطان عودك فان استلانه
رماك بقوم يقولون خير المال ما أئلف بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال
لما أريد المال فان أطعمهم فالיום في الشراب وغدا في الخراب واليوم وا طربا
للحاس وغدا واحربا للافلاس . يا مولاي ذلك المسموع من العود يسميه
الجاهل فقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الآذان
زمر وغدا في الابواب سر والمعمر مع هذه الآلات ساعه والقطار في هذا
العمل بضاعة وان لم يجد الشيطان مغنرا في عودك من هذا الوجه رماك بقوم
يثلون الفقر حذاء عينيك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتنافس عرسك
وتمنع نفسك وتبوء في دنياك بوزرك وتراه في الآخرة في ميزان غيرك .
لا ولكن فصدا بين الطرفين وميلا عن الفريقين لا منع ولا إسراف والبخل
قهر حاضر وضير عاجل وإنما يحذل المرء خيفة ما فيه فليكن لله في مالك

قسط وللمروءة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت فلأن تكون
في جانب التقدير خير لك من أن تكون في جانب التبذير

وكتب أبو بكر الخوارزمي الى أحد أصدقائه وقد بلغه أن بيته هدم فقال :

بلغني ذكر الهدمة فالحمد لله الذي هدم الدار ولم يهدم المقدار وثلم المال
ولم يثلم الجمال وسلط الحوادث على الخشت والنشب ولم يسلطها على العرض
والحسب ولا على الدين والآداب ولا بد للنعمة من عوذة ولا بد لمين السكال
من رقية ولأن يكون في دار بني ومال يحجر وينى خير من أن يكون في
النفس التي لا جبار لكسرهما ولا نهاية لقدرها

وكتب الى صديق له ورد عليه كتابه بأنه طيل :

✕ وصل كتابك يا سيدي فسرني فظري اليه ثم غمني اطلعي عليه لما كبر
تضمنه من ذكر علتك جعل الله تعالى أولها كفارة وآخرها عافية ولا أعدمك
على الأولى أجرا وعلى الآخرة شكرا وبودي لو قرب علي متناول عيادتك
فاحتملت عنك بالتمهد والمساعدة بعض أعباء علتك فقلد خصني من هذا
اليلة قسم كقسمك ومرض قلبي لمرض جسمك وأظن أني لو لقيتك طيلا
لا نصرفت عنك وأنا أعل منك فاني بحمد الله جلد علي أوجاع أعضائي غير
جلد علي أوجاع أصدقائي شفاك الله وعاذك وكفاني فيك المحذور وكفاك
وغفر ذنبك وشرح قلبك

وكتب أبو الفضل الميكالى (هو الامير عبد الرحمن بن احمد من نسل
ملوك فارس) التوفى بخراسان سنة ٤٣٦ هـ تمزيه عن محدث الى أخيه :
أنا لقد عاش أخوك نبيه الذكر جليل القدر عبق النشاء والنشر ينجعل به
أهل بلده ويتباهى بمكانه ذوو مودته حتى اذا نسّم ذروة الفضائل والمناقب
وظهرت محاسنه كالنجوم الثواب اختطفته يد المقدار ومحت أثره بين الآثار
فأفضل خاشع الطرف لفقده والكرم خالى الربع من بعده والحديث يتدب
حافظه ودارسه وحسن العهد ييكى كآفله وحارسه

ومن انشاء القاضى الفاضل عبد الرحيم اليسانى قوله فى آل أيوب :
وقد كان يقال أن الذهب الابرز لا تدخل عليه آفة وأن يد الدهر
البخيلة به كافة وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة هائس الاموال كما أن سيوفكم
آفة نفوس الابطال فلو لمكنم الدهر لامتطينم لياليه أدام وقلدتم أيامه صوارم
ووهبتهم شمسوه وأقاربه دنائير ودرام وأيام دولتكم أعراس وماتم فيها إلا على
الاموال ماتم والجود فى أيديكم خاتم ونفس حاتم فى قفس ذلك الخاتم
هذا والقاضى الفاضل من المشهورين بالنثر الشعرى وقد كان أعلى شئ
فى زمانه وقد كان يناو فيه الى حد يخرج عن الحد . فمن ذلك قوله فى آخر
جواب خطاب :

وان أدعى سحر البيان أنه يقضى أينس حقوقه ويثر ما يجب من شكر
فروعه وعروقه كنت أفضع باطل سحره وأذيبه وبال أمره وأصلب الخواطر

الحارة على جذوع الاقلام وأعدألسنتها كما تعقد السحرة الألسنة عن الكلام . وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ

ومن أشهر معاصريه وأعلام كعبا في هذا الباب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القرشي الاصفهاني كاتب صلاح الدين الايوبي وصاحب كتاب الفيج القسي في الفتح القدسي وقد تجرأ في كتابه هذا هذه الطريقة وزادها بحسن اختياره للكلمات طلاوة في ذوق عصره كما قال في طالعته بعد التحميد :
هذا كتاب أسهمت فيه بين الادباء الذين يتطلعون الى الغرر المتجلية وبين المستعبرين الذين يستشرفون الى السير المتعطية يأخذان قربان منه على قدر القرائح والبقول ويكون حظ المستعبر أن يسمع والاديب أن يقول فان فيه من الالفاظ ما صار معدنا من معادن الجواهر التي نولدها ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا من ألسنة المعجائب التي نوردها :

ويمتاز شعر عماد الدين بأمور . منها حسن استعمال الصفات وتخير الالفاظ الخاصة الداخلة في المعنى العلم . مثال ذلك قوله في وصف القتلى في حرب طبرية :
وعبرت بها فلقيت أشلاء المشاولين في الملتقى ملقاة بالبراء عراة ممزقة بالآزق مفصلة المقاضل مفرقة المرافق مفلقة المفارق محذوفة الرقاب مفصومة الاصلاب مقطعة الهام موزعة الاقدام مجدوعة الآناف منزوعة الاطراف معضاة الاعضاء مجزأة الاجزاء مفقوعة العيون مبعوجة البطون مخضوبة الضفائر معضوبة المرائز مبرية البنان مفرية اللبان مقصومة الاضالع مفصومة

الاشاجع مرضوخة الصدور مفضوضة النحور منصفة الاجساد مقصفة الاعضاء
مقلصة الشفاه . الى أن يقول : سائلة الاحداق مائلة الاعناق مفتوتة الافلاذ
مبتوتة الانفاذ مشدوخة الهامات مسلوخة اللبات عديمة الارواح هشيمة
الاشباح كالا حجار بين الاحجار عبرة لأولى الابصار

ومنها شغفه بتقصير المعجمات حتى تصير كلمات متشابهات في عدد
الحروف ورنه الصوت كأنها قيس بمقياس الموسيقى الماهر كقوله في وصف
نساء القرنجة :

من كل ... حمراء مرعاء نجلاء كلاء عجزاء هيفاء غناء لقاء زرقاء ورقاء الخ
ومنها شغفه بالجناس القريب الخطور بالبال والبدع السهل المتناول ولهذا
جاء أكثره متقبلا ولا كذلك غيره من معاصريه مثل قوله في فتح صيداء
وسرنا وسرنا مرتاح ونصرنا متاح والجد جديد والمزاح مزاح والعزم
جزم والحكم حتم وقصات القنوح لمناقش أهل الهوى قروح

ومنها (وهو مما عيب على الكتاب بعد الملاحظ) كثرة الترادف لغير
حاجة حق البيان إلا التفتن في البارات وإظهار القدرة على البدع وهو في
هذا أقل عيا من غيره لأن في رشاقة عبارته وخفة لفظه وحسن اختياره
للتناصع منها ما يسهل على القارئ ما يثقل من غيره كقوله في بنس الحاميات :
قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون ويرمون ويدمون ويحمون
ويحمون ويحتدون ويخدمون ويضطربون ويضطرمون ويذودون ويذبون

ويشبون ويسبون . الى أن يقول : ويلوذون ويلوبون ويجولون ويجوبون الخ
ومنها أن وصفه مجل للحقيقة في أكثر الاحايين ولولا ما يزيد فيه من
الخيال والصنعة لكان غاية الغايات مثل قوله في ملحمة :

فلم يسمع إلا أنين الحنية كحنين المنية ورنين الاوتار من كنين الاوتار
وهفيف السهام لذفيف اللهام وصليل بنات العمود من غليل أبناء الحقود
ومهممة الابطال ونغممة الاقتال وزثير الضرقام وزفير الضرام وقرع الطبا
بالطبا ووقوع الشبا على الشبا وضجة الحديد من الحديد وعجة الشديد من
الشديد الخ

ويقرب من إنشاء الهاد إنشاء الصدر عز الدين بن سينا . فمن ذلك
ما أنشأ في بشارة بكسر أعداء الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٢ هـ :
فلا روضة إلا درع ولا جدول إلا حسام ولا غمامة إلا نفع ولا ببل
إلا سهام ولا مدامة إلا دم ولا تم إلا صليل ولا معربد إلا قاتل ولا سكران
إلا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدهمت
الجنائت في القضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع في السماء طرقا

وضافت الأرض حتى كاد هاربهم إذا رأى غير شيء ظننه رجلا
أما القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك والقاضي محيي الدين بن
عبد الظاهر خليفة القاضي الفاضل فان ترهما وتر من اتبعهما متكلف قد
أثقل بالتضمين والاعتباس والتوجيه وضروب من البديع لا يستدعيها طبع

عربي ولا يتطلبها ذوق متذوق وقد وصل بعضهم الى حد صارت الكتابة به
أفكوهة باردة لا مضحكة ولا مفيدة بل هي أشبه بالتلاعب والبعث منها
بالجد والافادة

فمن ذلك ما كتبه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في شفاعته وهو :
أدام الله نعمة مولانا ولا زال علم علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا
بخفض العدا ولا برحت أقلامه لأفعال الشك جازمه ولا عداوته متمديه ولا آرائه
لازمة أما بعد فإن فلانا حضر وادعى أنه رخم في غير النداء وجزم والجزم
لا يدخل في الاسماء واستثنى من غير موجب تخفض والتخفض من أدوات
الاستثناء وذكر أن العامل الذي دخل عليه منه من الصرف ولزمه لزوم
البناء واجتمع معه في الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من كرم مولانا نصب
مخلة على المدح لا على الانغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء
قميه من التمييز والظرف ما يحمل على العطف ومن المعرفة والمثل ما يمنه
من الصرف لا زال مولانا بابا للعطف والصلة وما تر مكارمه متصلة لا منفصلة
هؤلاء من الكتاب الشرعيين التاليين وقد كانت في كل عصر طبقة
أخرى لا تحب أن تبتمد عن الحقيقة وهذه هي التي غلب عليها الجد والعلم
كالقاضي موفق الدين عبد اللطيف البندادي نزيل مصر أحد أعلام
المدرسين في الازهر المعمور صاحب كتاب الافادة والاعتبار المتوفى بغير

سنة ٦٢٩ هـ فإن كتابته بقيت قريية من كتابة الصدر الاول من عهد
بنى العباس كقوله فى وصية :

إياك والنظفة فى الخطاب والجفاء فى المناظرة فإن ذلك يذهب بهجة
الكلام ويسقط فائدته ويعلم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات
ويصير القائل مستقلا سكوته أشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس على
مماندته ويسقط اللسن بمخشنته وإذهاب حرمة

ضروب الكتاب — لسا نريد بضروب الكتابة أساليبها المختلفة التى
تكون للكتاب كأسلوب المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب أو الاديب
أو الفقيه الى غير ذلك ولا أساليب الكتاب فى النوع الواحد كرواة الاخبار
والمترسلين كما نرى الآن فى أساليب جرائدنا ومجلاتنا وأذواق كتابنا وطرائقهم
فإن ذلك يطول ولا ينضبط . وانما نريد الاجناس العامة وهى كتابة الدواوين
وكتابة التصنيف وكتابة الترجمة وكتابة الاخوان وكتابة القمصن

كتابة الدواوين وعصورها

ان ديوان الانشاء بدى به فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا بهذا العنوان
بل بعنوان الكتبة الذين كانوا يكتبون الصدقات والاموال وخرص التمر
وانهم أخذوا يكتبون على مقتضى الدواعى فى عهد الخلفاء الراشدين خصوصا
أيام عمر حينما دون الدواوين ثم كثروا فى عهد بنى أمية بعد تحويل الدواوين

كلها الى العربية سنة ٨٧ هـ في مصر والشام والعراق
وأكب الكتاب الذين كانوا يعرفون اللغة الرومية أو الفارسية
أو اليونانية أو السريانية على تعلم اللغة العربية حتى يتالوا في هذه الدواوين
أعمالا كسالم مولى هشام بن عبد الملك الذي نظم ديوان الرسائل في أيام
مولاه وتخرج على يده عبد الحميد الكاتب الذي انتهت اليه رئاسة الكتاب
في عهده ونشأ طبقة بعده على طريقته كالقاسم بن صبيح وعمار بن حمزة
ويحيى بن زياد وأبي عبيد الله وزير المهدي ويعقوب بن داود وزره أيضا

العصر الاول - قد اتسع نطاق الدواوين في عهد الدولة العباسية
وتنوعت أغراضها وكثر ضبطها لاستقرار الامر بعد الحروب والتفرغ الى
عمارة الارض وجباية المال واستصلاح الشؤون وبث نتائج القرائح والنظر
في مظالم الناس واتساع السفارة بين الخلفاء والملوك الآخرين وما شاكل ذلك
وقد كان المظهر الاكبر في الدواوين لديوان الرسائل فانه هو الذي
تصدر عنه آثار الخليفة بين رعيته وعند الملوك والامراء الخارجين عنه وهو
الذي يتولى كتابة المهور والمنشورات والمزل والتولية ولريثه سلطان كبير
وتدبير مقبول عند الخليفة وهو أشبه الآن برئيس الوزراء في مصطلح
الحكومات اليوم وقد كان الخليفة يكل اليه تدبير الشؤون وتصريف
الحوادث فلا يعرضها عليه إلا تامة محسوبة العاقبة وربما كتب له التوقيع
الذي يوقعه ولا يبقى له إلا الاسم أو الختم. ولهذا قال بشار في يعقوب

ابن داود وزير المهدي :

بني أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
فأما كتاب الحساب والمسكر والجباية وصرف الاموال وخرص الغلة
والمباني والاعمال العامة ومن على شاكلتهم فلم يكن لهم نباهة وكانت أعمالهم
محدودة وقلمنا عن التاريخ بذكرهم والتنويه بأقمارهم إلا اذا ظهروا بشئ آخر
غير هذه الاعمال لانها تشبه أعمال الصنائع ومن الذي يعنى بتاريخ كل صانع
يعمل عملا متشابه دائما

وأظهر كتاب الرسائل في هذا العصر م أولا الخليفة أبو جعفر
المنصور ثم أبو عبيد الله ويعقوب بن داود ثم يحيى بن خالد بن برمك وولده
الفضل وجعفر . والبرامكة هم الذين نظموا الدواوين وأحكموا أعمالها وزادوا
فيها فقد كانت الدواوين في أيامهم أكثر من اثني عشر ديوانا منها ديوان
المشرق وديوان المغرب وديوان الخراج والنفقات وديوان الجيش وديوان
المعادن وديوان الرسائل وهو قسمان ديوان الخاتم وديوان التوقيع ثم ديوان
المظالم والشرطة وديوان البريد وديوان الضياع والاقطاعات وديوان الخواص
ومن أظهرهم بعد هؤلاء أبو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر خصوصا
طاهر بن الحسين ولو لم يكن من آثاره إلا كتابه لولده عبد الله لما ولاه ديار
ربيعة لكفى فانه أوعى كتاب رأيته في هذا العصر وهو أجمع شئ في
السياسة وتدير الملك واصلاح حال الرعية في دينها ودنياها وهو يشبه في

جلته عهد الامام على رضى الله عنه للاشتر النخعي حينما ولاه مصر وهو عبارة عن دستور عام لجميع الاعمال مثل قوله فى الوصاية بالمرضى وانصب لمرضى المسلمين دورا توقيهم وقواما يرفقونهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسقمهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال الخ وقد تنازع الناس هذا المهد وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه وقال ما بقى أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتعيم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم فيه وأمر أن يكتب بهذا المهد الى جميع العمال ونواحى الاعمال

ومنهم احمد بن يوسف كاتب البرامكة وقد تولى ديوان الرسائل أيام المأمون وكان يجتذى طريقة عبد الحميد وله رسائل مطولة أشهرها رسالة الخميس التى كانت تقرأ على الجيوش. ومحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وقد كان من خول الكتاب والشعراء والادباء واللغويين

المصر الثانى — قد انصرف الناس فى هذا العصر الى الاشتغال بالعلم والتأليف واشتغل قوم بالرسائل على مقدار الحاجة وقد صغرت قيم كتاب الدواوين وعلت منزلة العلماء والادباء

ولذلك كان النابغون فى هذا العصر هم الادباء المؤلفون وأعلام الجاحظ فانه كاتب مؤلف أديب صاحب طريقة فى الكتابة مقلدة

ومن اشتهر بالترسل في ذلك الوقت ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن ابن بويه وقد لقبه أهل عصره بالجاحظ الثاني لانه صاحب أسلوب جديد قلده فيه من بعده ونشأ على طريقته صاحب بن عباد ولقب بذلك لصحبته ابن المييد وقد وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة وهو واحد زمانه في النهضة بالادب العربي على الطريقة التي كانت مستحسنة في عصره وأبو اسحق الصابي وهو كاتب شاعر ومن آثاره منشئات الصابي وهو كتاب يشتمل على مراسلات كتبها على لسان ولاية الامور في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم وهي رسائل لا يستغنى عنها مؤرخ يريد أن يتعرف حال البلاد وحال الكتابة في ذلك الزمان وله أيضا رسائل الصابي وهي تشبه في الجملة كتاب المنشئات إلا أنها تزيد الشفاعات والماتبات والمودات وكلا الكتابين في المكتبة السلطانية هذا

وقد كانت الرسائل جارية في أول العهد العباسي على نحو ما كانت تجرى عليه في عهد بني أمية من جعل العبارة جزلة بليغة متناسقة لا يراد منها إلا فهم المعنى وقوة الحجة وبقيت كذلك الى آخر ذلك العهد ثم أخذت تنقلب عليها الصناعات اللفظية من السجع والجناس وما زال هذا يكثر حتى قل وصار بعد أن كان حلية عيالا بد للاديب أن يتصف به

هذا في الكتابة الديوانية أو الاخوانية أما في كتابة التأليف فلم يكن يلاحظ فيها ذلك اللهم إلا في مقدمات بعضها وفي بعض التأليف النادرة كما

نرى في تاريخ العتيق ثم تحولات الكتابة في آخر العهد الثاني الى تزيين
الشعر من جهة خياله والى عبارة تحس فيها بالمعجزة من جهة الاسلوب كما
ترى في رسائل ابن العميد وهى أجود رسائل هذا العصر ولقد أفرطت
الطبعة التى جاءت بعد ابن العميد فى التحسين فأساءت وربما أحالت ولا أطيل
بذكر الشواهد لها ويكفى أن قرأ عهداً من العهود أو تولية قضاء لاجل
أن تضجر كل الضجر من التطويل الممل والسجع المتكلف والجناس الذى
ينادى بأنه جيب به من مكانه قسراً

ومن غريب ما نجد فى كتابة العهد الاخير أن تنظر فى كتابة الرجل بمض
الاحيان فتراها سهلة بينة ناصحة عليها ثوب الفطرة وتنظر فى كلام له آخر
فتجده مملوءاً محاسن قد أثقلت حتى صعب عليه احتمالها كما اذا قرأت مقامات
الحريرى ثم قرأت كتابه درة النواص فى أوهاج الخواص فان الذى يقرؤه
ولا يعرف أنه للحريرى لا يظن أنه له لمخالفة لفته للغة المقامات من كل وجه
فهو فيه يجرى على فطرته وفى المقامات يجرى على الاسلوب الذى به يز
البديع فى ابداعه

كتابة التأليف — أما كتابة التأليف فانها كانت راقية جداً فى العهد
الاول فانها كانت فطرية متينة محدودة للمنى مختارة اللفظ سهلة التناول
واضحة وهى منع ذلك نغمة كما ترى فى كتابة محمد بن سلام الجمعى فى الطبقات
وكما ترى فى كتب الجاحظ وكتب أبى هلال العسكري وكتب الاصمعى

والام للامام الشافعى وكتاب الخراج لابن يوسف وكتاب المغازى للواقدي وطبقات ابن سعد قد طبع أكثرها بأوروبا وسيرة ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المفاقرى) وهى أجل سيرة وصلت إلينا فى عبارتها وصحتها وجمعها للادب من الشعر والنثر الذى كان فى الغزوات وسيرته هذه تلخيص لسيرة محمد بن اسحق بن يسار المطلى . وكتاب تاريخ بغداد لاحمد ابن أبى طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ

وقد استمرت عبارة المؤلفين حتى الذين كانوا منهم عجما بحسب المنشأ أو الاصل كمحمد بن جرير الطبرى والشيخ عبد القاهر الجرجانى وأبى الفرج الاصبهانى الى قرب آخر العهد الثالث فإن عبارته التأليف فيه أخذت تطلق بكثرة المصطلحات وارثكاب الاساليب الضعيفة خصوصا منها كتب البلاغة التى جاءت بعد كتاب عبد القاهر فانها ما زالت تضعف الى أن وصلت الى شرحى السعد التفتازانى فوصلت من ضعف التأليف والى فى البيان واستعمال الكلام فى غير محلها اللغوى والمجازى وإيراد عبارة لا تستعملها العرب الى حد لا يجوز البقاء عليه خصوصا فى هذا العصر عصر النهوض الجديد للغة همتل .

دعنا وأما التأليف فى الفنون فلكل فن طريقة فى الكتابة ومصطلح قلما يتعدى . وهذه الفنون قد حفظت طرقها مدة طويلة وبقيت الى الايام الاخيرة فأخذت تتغير من نحو مائة سنة

أما علوم الحديث ومؤلفاته فأنها كذلك حفظت صورتها والطريقة التي جرى عليها علماءها كما ترى في موطأ مالك ومسند أحمد والسنن . هذا كله في أكثر الاحوال فلا ينافي أن يشذ بعض أفراد في بعض المصور في الجودة والاسلوب وعلى الجملة حفظت التأليف طريقها الى العصر الرابع فأخذت تتقهقر وأخذ المؤلفون يختصرون فيسيثون الى المؤلفات في كل فن حتى أخذنا نشكو ونرجع الى الاصول التي أهملوها بمختصراتهم وهي خير ما يورثه السلف الخلف

مجلد حال اللغة قبل سقوط بغداد

كانت اللغة العربية أيام عز بنى العباس لسان العلم ولسان الخلاصة في مشارق الارض ومغاربها وترجمان علوم الدين والدنيا وكان الشفغ بالغروق فيها مشتركاً بين الخلفاء والامراء والقواد والعلماء والشعراء والكتاب وكل ذى خطر والناس على دين ملوكهم وعلمائهم وأرباب الاخطار منهم ولهذا استنبط العلماء من الكتاب والسنة واللغة والاخبار علوماً تمتد بالثبات وكثر المجتهدون في الدين واللغة والمخترعون للفنون كالخليل بن احمد في العروض والقوافي واللغة وكأبي عبيدة في المجاز وابن المعتز في البديع والشافعي في الاصول والبديع في المقامات وابن أبي الريح في سلوك الممالك وابن خرداذبه في احصائه

(احصاء جباية الممالك العباسية في أواسط القرن الثالث) وقدامة بن جعفر في ديوان البريد والطرق ومقادير الجباية سنة ٢٢٥ للهجرة وابن رسته في الموسوعات وقد ترجمت موسوعة الاعلاق النفيسة باللغة الالمانية وكأبي يوسف بنقوب بن اسحق الكندي في نقد علوم الاوائل فقد ألف أكثر من مائتي كتاب في الفلسفة والحساب والنجوم والهندسة والطب والسياسة والطبيبات والموسيقى وأحكام النفس والاحداث والآلات ونقد مؤلفيها من حكماء العالم نقداً صحيحاً ولا تزال كتبه مشكاة يهتدى بها في بعض مكاتب برلين وكأحمد بن علي الكلداني المعروف بابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية الذي ألف سنة ٢١٩ ومنه نسخة في المكتبة السلطانية

ولا أطيل بتعداد أمثال هؤلاء من المبرزين وانما الذي يبيننا أن نقول أن العلوم نضجت وأنست مباحثها وربت وهذبت وبلغت مبلغاً لم يعرف من قبل ولا من بعد إلا في القرن الاخير لاوروبا وقد كانت آثار العرب نبراساً في طريق بحثها فسبحان مقلب الليل والنهار

وقد كانت بغداد محط رحال العلماء والادباء والشعراء من المشرق والمغرب وكانت تجيء اليها ثمرات القول من أطراف العالم من أقصى تركستان في الشرق الى أقصى الاندلس في الغرب وكانت المؤلفات جامعة بين فصاحة العرب وذكاء الفرس فكانت صريحة محكمة لا تكاد تقادر شيئاً في نفس القارئ ومما زادها وضوحاً وبياناً في المقاصد هذه الحرية التي منحها

الخلفاء العباسيون لعلمائهم وأدبائهم في تدوين التاريخ والملح والنوادر فانا نرى كل شئ في ذلك العصر مكتوبا كما هو حتى محاضرات مجالس الخلفاء التي من شأنها أن تكلم فارقت علوم الادب وساعد الاعاجم العرب في ذلك فتماون العرب والترك والفرس والديلم والروم وغيرهم على إنباض العلم ثم أخذ شأن بغداد ينحط خصوصا بعد دخول السلاجقة حتى آكل أمرها وأمر اللغة الى ما ترى

حال اللغة

من سقوط بغداد سنة ٦٥٦ الى زمن محمد علي باشا

لا حياة للغة إلا في ظل أهلها فكما كان ظليلا تزعرجت وشبت شبابا حسنا وكما قلص ذلك الظل جف عروق نابض من عروق حياتها هذه سنة من سنن الكون يشهد بها التاريخ ولقد منى خلفاء العرب وأمرؤهم في المشرق والمغرب بالترف والاستسلام للشهوات وتسليم الامر في تدبير الملك الى أجناس شتى من الاعاجم والمستعربين الطامعين في مملكتهم فأخذوا يستبدون بالاحكام حتى على الخلفاء أنفسهم حتى كان من ذلك أن استقل كثير من هؤلاء الحكام ونقصوا من جسم الدولة وقامت لهم عصبيات تهاض العرب أينما كانوا فقامت دولة الديلم بفارس ثم السلاجقة فيما وراء النهر ثم الترك في شمال آسيا الغربي والمماليك بمصر والشام ثم جاءت الطامة الكبرى

من أطراف الصين طامة التتر فما زالوا يخربون ويسفكون الدماء ويدمرون كل شيء يجيء في طريقهم حتى وصلوا في خراب المعمور الى بغداد فأعملوا فيها السيف أربعين يوما بعد فتحها واستسلام أهلها فقتلوا الرجال واستبوا الذرية وأباحوا لانفسهم كل منكر علانية وقتلوا الخليفة المستمصر العباسي شر قتلة وبقى المسلمون بلا خليفة ثلاث سنين حتى أقاموا له في مصر صووة دينية خاضعة للممالك ولم يكف هلاك ما فعل بالبلاد والبلاد حتى عدا على كتب العلم فزتها وحرقتها وأطاح منها في الدجلة ثمار عقول الفلاسفة والعلماء والادباء والشعراء الى أن غص النهر بالعلم الموءود فيه هذا الى عيث الافرنج ببلاد الشام ومصر وتلاحق الاحن بالبلاد الاسلامية من كل صوب من الاندلس الى الصين فكيف تكون حال اللغة في هذه المصور السائلة بالدماء وبين أولئك الوحوش الاعاجم الذين هدموا مدارسها ومزقوا كتبها ثم أحلوا لتهم في كثير من الاصقاع عليها ولولا اسلام قازان ملك التتر وابقاء الممالك على اللغة العربية في مصر والشام وبقاء المغرب في يد الملوك وغيرهم من العرب لكانت اللغة الآن خبرا من الاخبار أو أثرا من الآثار

ماذا أصاب اللغة من جراء ذلك

أصلها أنها أخذت تآرز الى بلاد العرب من ناحية المشرق وكاد يخبو ضوءها من الهند وفارس وما وراء النهر والعراق العجمي حتى لم يبق لها

إلا في بعض دواوين العلماء وبين سطور بعض الاسفار الدينية ولم يساعفها
 الحظ بعد أن أسلم أكثر أهل هذه الاصقاع أن تقوم لها قائمة بينهم بل
 ترجوا كثيرا من كتب الدين الى لغتهم حتى لا يتعربوا أو يدبجوا في العرب
 فيخسروا عصيتهم الجنسية . وهذا هو السر في محافظة الترك على لغتهم وجعلها
 اللغة الرسمية في دار الخلافة الاسلامية الى اليوم . ولو وقف الخطب باللغة
 عند انكماشها لهاث ولكنه تعدى الى جوهرها فدخل الدخيل في مادتها
 وروحها وأسلوبها واتانها التحريف من الالسن المختلفة والضعف من المؤلفين
 والمجلة من الكتاب والنساخت وضياح أمهات الكتب وفقد الرغبة من أرباب
 الدولة فيها فشوهت ديباجتها وهي أسلوبها وانحصر التأليف بها في دوائر
 ضيقة أكثرها في نفس فنون اللغة وهو يدور بين اختصار وشرح للمختصر
 وتعليق عليه أو حاشية له وقد يشرح الشرح وتحمى الحاشية بكلام جله
 مما حركات لفظية لا تفيد علما ولا يستقر الذهن منها على شيء حتى أنك لتجد
 المثال الواحد يدور في كل كتبهم سواء أكانت من كتب الفنون العربية أم
 من كتب الدين لجمود قرائتهم وخوفهم من الخطأ اذا جاءوا بشاهد آخر . فن
 المباحكات اللفظية قول نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشمونى في
 شرحه على ألفية ابن مالك وإنما أعربت هذه الاسماء (الاسماء الستة) بالأحرف
 توطئة لاعراب المثني والمجموع على حده بها وذلك أنهم أرادوا أن يعربوا
 المثني والمجموع بالأحرف للفرق بينهما وبين المفرد فأعربوا بعض المفردات

بها ليأنس بها الطبع فلذا انتقل الاعراب بها الى المثنى والمجموع لم ينفر منه
 لسابق الالفة وانما اختبرت هذه الاسماء لانها تشبه المثنى لفظا ومعنى أما لفظا
 فلانها لا تستعمل كذلك إلا مضافة والمضاف مع المضاف اليه اثنان وأما معنى
 فلاستلزام كل واحد منها آخر فالاب يستلزم ابنا والاخ يستلزم أخا وكذا
 البواقى . فانك تراه قد أسند للعرب ما لم يجيء فى خيالهم وقد جعل اللغة
 متداولة زمنا ما من غير مثنى ومجموع وهذا غير صحيح ثم علل اختيار الاسماء
 الستة بملء مشتركة بينهما وبين اسماء كثيرة لم تعرب بالحروف وكل هذا
 لا يفيد فيها فى اللغة ولا فى قواعدها . وهذه كتب المؤلفين فى تلك العصور
 لا تزال بين أيدينا شاهدة على ما نقول ومن العجب أنك ترى أسخف العبارات
 وأحط التراكيب وأردأ الاستعارات وأقبح الكنايات لا تكثر كثرة مشتمة
 مردولة إلا فى كتب الذين ألغوا فى علوم البلاغة حتى كأن البيان وسيلة الى
 المعنى والنظر كان وسيلة الى المعنى فان كنت فى ريب من هذا فانظر الى كلام
 ابن بدرون من أدباء النصف الثانى من القرن السادس فقد قال فى طائفة
 شرحه على قصيدة ابن عبدون القهرى وزير بنى الافطس : (الحمد لله الذى
 أفاض على ألسنتنا مائة البيان) الى آخر ما لا أجد نفسى يحمّل قراءته فضلا
 عن نقله

فاما علوم المنطق والجدل والفقهاء خصوصا فقه الحنفية فانها كانت ولا تزال
 معاول تهدم من بنيان اللغة لغلبة العجمة فيها والاكتثار من الاصطلاح والخروج

بالكلمات عن معانيها اللغوية وعدم المبالاة باستعمال ما لم يستعمله العرب من التراكيب والالفاظ حتى أصبحت لغة هذه الكتب ونحوها لغة خاصة بها وأصبح ذوق المذنبين على قراءتها فاسدا . فن ذلك قولهم وألا لما حصل وقولهم انعدمت الزوجية وما هو الشئ وقولهم لما يحصل كذا يحصل كذا مما تراه مخالفا لمادة اللغة وتراكيبها هذا

ومن لطف الله أن هذه المصور المظلمة لم تخل على طول مدتها من كواكب مضيئة في بعض الجهات وان لم يكن ضوءها متصلا بفضه يعمض في كثير من الاحيان

الكتابة وأسلوبها

من سقوط بغداد الى زمن محمد علي باشا

الكتابة في هذه المصور وان اختلفت مذاهبها متقاربة في الخصائص متلاحقة في الانحطاط لا فرق فيها بين قطر وقطر الا بما لا يكاد يذكر وسواء في ذلك كتابة الدواوين ورسائل الادباء وخطب الخطباء أما كتابة التأليف فلها منزع آخر يختلف باختلاف مأخذ المؤلفين ونسبجي لها ذكر منفصل عما قريب . وتتميز كتابة هذا العهد بأمر منها (١) التطويل الملل في غير فائدة وأكثر ما يظهر ذلك في التقاليد وللضكوك ورسائل الامراء والملوك فانك تقرأها حتى اذا أتممتها أخذت

تصيد الغرض منها فتجده بين أمتائها في كلمة أو كلمتين . ترى ذلك واضحاً في التقاليد التي قلها القلقشندي عنهم في صبح الاعشى

(٢) كثرة الحشو للتوصل الى الاغراض اللفظية من سجع وجناس ومالا يستحيل بالانكاس كقول القاضي الارجاني

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم
وقولهم : سر فلا كبا بك القرس ودام علا العما

(٣) كثرة الدخيل وعدم المبالاة بالضبط وأظهر ما يكون ذلك في أسماء الاعمال لارباب الدولة

(٤) نسب الاسلوب الاعجمي وان شئت قل تدفقه في الكتابات الرسمية فانهم قد يقدمون الصفة على الموصوف والمضاف اليه على المضاف فيقولون المؤيد شيخ ودولة عماد في عماد الدولة وكزيادة الياء للتنظيم في مثل صاحب والاجل والكبير فيقولون الصاحبى الاجلى الكبيرى الخ

(٥) الاكثار من ألقاب التعظيم وجعل ذلك بمنزلة الرتب والاورعة التي تعطى الآن للدلالة على الشرف ونباهة الشأن وقد جعلوا لكل عمل من أعمال الحكومة وظيفها ألقاباً متعارفة عند الكتاب لا يجوز العدول عنها وقسموا كل عمل الى مراتب يطول ايرادها فمن ذلك لقب قاضى القضاة بالديار المصرية ويستوى فيه الشافىى والحنفى وهو الجنا ب العالى القاضوى الشينخى الكبيرى الى آخر ما يزيد عن خمسين لقباً . فهذا لقبه الرسمى الذى

يرادفه الآن صاحب الساحة فبالك اذا أخذت قرأ بعد هذا التحديد الطويل ثم تنتقل منه الى ذكر أمانى أمير المؤمنين أو السلطان وآماله فى المكتوب اليه ثم وصف حالة البلاد فى أيامه من الاسناد ثم حال العمل الذى يراد اسناده الى ذلك المابل ثم الوصية بالقيام به على وفق الارادة السلطانية حتى اذا ضجرت من كل ذلك عثرت أخيراً على كلمة (ولينالك جهة كذا) وهنا يجس البيان عن تفصيل العمل ونظامه ويحل الایجاز المحل محل الاطئاب الممل فاقطر الفرق بين هذا العهد وكتاب عمر فى القضاء الى أبى موسى الاشعري رضى الله عنهما نجده مثل ما بين الظلمة والنور والهداية والضلال أو بين هذا وبين عهد الامام على الى الاشر النضى (٦) ومنها كثرة الاقتباس والتضمين مع ظهور التكلف فيها (٧) ومنها غلبة الالتاظ المضافة الى الدين والملة والاسلام والمسلمين والمؤمنين وما كان من هذه الناحية (٨) ومنها التزام الاسجاع الطويلة والتزام قافية السجدة فى فقرات عديدة وهذا كثير فى خطب المنابر كما ترى فى ديوان النحاس مثلاً وقد كان فضل الكتاب من قبل فى عكس هذا كما ترى (٩) ومنها كثرة العامية واكثر ما ترى ذلك فى تاريخ ابن أياس وتاريخ الجبرقى قبرى الاول يقول ضربهم وبهلمهم ويقول كانت الاسمار متشحطة ومشطه ويقول ان العثمانية طقشت فى الحارات وحطوا غيظهم فى العبيد والظلمات والعوام من الزعر وغيرهم ولموافهم

بالسيف وكان عند عترته وملاحة رقبة (١٠) ومنها فشو اللحن الذي لا يخفى على صفار الطلبة مثل قول ابن أبياس وكان مقدار من مثل فوق العشرة آلاف انسان في مدة هذه الاربعة أيام ونحو ان كنتم نسيتمونا فنحن ما نسيناكم وقوله أخرج ولاقيني في الجزيرة ولا يعمل الآن مثلها أبدا . وانك ترى أمثال ذلك كثيرا حتى في الكتب التي لأربابها شهرة بالعلم وبعض هذه العيوب يقل نجدا في كتابات الادباء حتى انه لا يكاد يوجد في بعضها

التأليف

من سقوط بغداد الى زمن محمد علي باشا

كثر التأليف في هذه المصور وقلت مزاياه لأسباب جمة منها أن كثيرا ممن لم ينضج فيهم العلم قصدوا للتأليف ليلحقوا من تقدمهم في الشهرة فكانوا بالنسخ أشبه منهم بالمؤلفين ومن هؤلاء الذين كتبوا في البلاغة وسائر الفنون العربية كالعضد وسعد الدين التفتازاني والسيد الشريف وغيرهم ومنها استحكام ملكة التقليد وتخوين القول فيما يطرأ عليها من الفيض وقد ظهر ذلك في أواخر القرن الثامن ظهورا يتناهما في القرن السابع وأوائل القرن الثامن فقد كان المؤلفون يراوون بين الاستنباط والتقليد. كان مالك وابن الحاجب وابن الاثير والسكاكي وابن خلدون وهو أجودهم استنباطا وابن تيمية . . أما القرن السادس فقد كان العلم فيه أجلى والاستنباط فيه أئين

وحسبك من أعلامه جار الله الزمخشري وابن حزم والقاضي عياض
ونفر الدين الرازي

أما في القرون الاخيرة من التاسع الى الثاني عشر فان التأليف فيها يمتاز
بالتمعيد وكثرة الاستطراد والخلط وأظهر ما يكون ذلك في الكتب التي
ألفت للكتب كالشروح والحواشي والتعليق فانها تسير وراء العبارة المشروحة
أو المحشاة كيفما سارت وتلتبس من القنون مناسبات بعيدة مما لا محل لايراده
وقد ظهر في هذا العصر شيء لم يكن معروفًا من قبل وهو سرقة الكتب
وادعاؤها فخطط المقرئ يقول صاحب الضوء اللامع أنها صورة كتاب
الاوحدى فظهر المقرئ بها فجعلها له وزاد عليها ما لا طائل تحته

اللغة العربية

بعد استيلاء السلطان سليم على مصر الى زمن محمد علي باشا

لم تر اللغة العربية في حياتها طوراً أحط من هذا الطور فقد زاحمتها
اللغة التركية في الدواوين والالسن والمؤلفات ولم يبق الا العامية والعريسة
التي لا تكاد تتميز من العجمة في أسلوبها وكثير من مفرداتها لاسباب . منها
انها لم تكن لسان أرباب النفوذ من الحكام . ومنها نهب النفاس من كتبها
ووضعها في مكاتب الاستانة وتخريب المدارس التي كانت آهلة بالطلاب أيام
المماليك وضيق دائرة العلوم والذهاب في تعليمها مذهب الفلسفة الخيالية مما

لا يربى ملكة ولا يقوم لسانا هذا الى قلة الترتيب في التأليف وخط المسائل
وكثرة الاستطراد من كل فن الى غيره بلا داعية قوية حتى انك لتجد
الاعراب قبل أن تصل الى باب الاعراب وأنواع الاقضية مذكورة في
شرح البسلة من كتب المنطق

العربية اللغة الفرنية

من عهد محمد علي باشا الى الآن

مضى قولنا فيما اتت اللغة العربية بديار مصر بعد أن صارت ولاية
عثمانية حتى جفت موارد أكثر العلوم خصوصا الهندسة والطب والفلك فلما
ولى محمد علي باشا رأى حاجته الى العلماء الاكفاء وعلم انه لا سبيل الى نهضته
بالمك الا بالجرى على طريقة أوروبا فأنشأ المدارس . الهندسة والالسن والطب
وغيرها ثم وجه عنايته الى ارساله البعثات الى أوروبا فأرسل أول بعثة سنة ١٢٤١
وكان منها صاحب الآثار الجليلة رفاعه بك وما زال يوالى البعثات حتى نسي
له أن يرسل ٢٩٠ تلميذ كان لا أكثر ثم التفت الى أكبر في نهضة مصر ومن
هؤلاء الرجل الكبير على باشا مبارك . ومن أصول الاصلاح في زمن
محمد علي باشا المطابع والجرائد والمجلات وسيأتي الكلام فيها فكان الاصلاح
في زمنه يرجع الى انشاء المدارس أولا وإرسال البعثات ثانيا والجرائد
والمجلات ثالثا

فأما عباس الأول وسعيد فانهما ألنيا أكثر المدارس ومحو ديوان
المعارف ووجهاهتهما الى الحرية واللغة التركية . وأما اسماعيل فانه محمد علي
الثاني فقد عني بالمدارس فأعادها أحسن ما كانت وبث البعث الى أوروبا
وقدم الطباعة وساعد على نشر الجرائد والمجلات وقد كان للغة العربية في أيامه
نهضة . بآركة لا تزال مصر تتحرك بحركتها الى الآن وكان أعلام هذه النهضة
الاستاذ الامام والاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان و ابراهيم اللقاني بك
ومحمود باشا سامى البارودى وفي مقدمتهم على باشا مبارك وأشألم فكانوا
سببا في بث الكتب من مرافدها وسلامتها من يد الضياع وإنشاء دار
الكتب الخديوية قأمت للعلم سوق رائجة ولم تكف حكومة اسماعيل بهذا
حتى أمألت اليها أعصان العلم فى الاستانة وسورية وتونس وبلاد المغرب
والهند . هذا وأن من حسنات اسماعيل باشا إنشاء مدرسة دار العلوم لما عجز
أولو الامر عن إصلاح التعليم فى الأزهر على الوجه اللائق بحال مصر

أما عهد توفيق باشا فكان فى مبدئه سائرا فى طريق الارتقاء فى كل
شئ خصوصا العلم والأدب والكتابة وانتشار الصحف وافتتاح دور العلم
ولكن لم تطل هذه المدة حتى جاءت الثورة المأرية فقررت كثيرا من
زعماء النهضة فى نواحى البلاد فنفى البارودى والاستاذ الامام وأخرج من
قبل ذلك زعيم الزعماء جمال الدين الأقساقى واختفى نديم وألجم قانون
المطبوعات حملة الأقلام وأرباب الصحف . ولما سنى الساعون فى إمارة هذا

القانون انطلقت الالسة والاقلام وكثرت الصحف والمجلات واستفادت
الامة فائدة عظيمة

أثر الجرائد والمجلات

في اللغة العربية

ظهرت الصحف في مصر أيام الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣ فصدرت
جريدتان باللغة الفرنسية ولما آل الامر الى محمد علي باشا رأى أن من أرسخ
أساس الاصلاح في مصر الجرائد ولهذا أمر باصدار الوقائع الرسمية سنة
١٢٤٦ وكانت مصدر الاوامر والمنشورات والاخبار الخارجية والداخلية
والتجارية والمقالات الادبية والعلمية وما زالت تثقل في الارقاء والانحطاط
بثقل العمال وكان أرقى عهد لها أيام أن كان يحررها الاستاذ الامام رحمه الله
ولم تبدئ نهضة الصحف الا في عهد اسماعيل فهو الذي ساعد أحمد فارس
على نشر جوائبه في مصر وان كان مصدرها الاستانة ولقد كثرت الجرائد
في عهد المرحوم جمال الدين الافغاني لتشجيعه الكتاب وشحذ اذهانهم بافكاره
فأما بعد الاحتلال فكان من أشهر الجرائد المقطم والمؤيد واللواء ومن
أشهر المجلات المنتطف والملال والنار وكان للجرائد والمجلات أثر عظيم في
ترقية اللغة العربية من عدة جهات (الاولى) في مادتها فقد وسعت الجرائد
المستعمل منها بالتدرج (الثانية) في أسلوبها فقد كان قبل الجرائد أشبه

بالاساليب التركية منه بالعربية فأما بعد الجرائد فكما ترى (الثالثة) في اذاعة المؤلفات النافعة بين الجماهير (الرابعة) في تحمين اللهجة العامة لكثرة محاكاة الناس عبارات الجرائد (الخامسة) في أنها كانت ولا تزال ميدانا لتسابق القراء والكتاب وتلك فائدة عظيى . أما ذم الجرائد لقشو اللحن والاطالة في موضع الاختصار والتحريف في بعض ما تعربه وخداع الجمهور فليس شديدا كبيرا في جانب فوائدها

الطباعه

وتأثيرها فى اللغة

لما دخل نابليون مصر كان يصحبه مجمع علمى وكان مع ذلك المجمع مطبعة عربية طبع عليها المنشورات على أهل مصر فلما انجبت فرنسا عن مصر بقيت المطبعة مهملة الى أن أحيائها المرحوم محمد على باشا وجلب اليها المال والعدد والحروف فلما كان أيام توفيق صارت تلك المطبعة مصلحة أميرية وضم اليها مطبعتا المعارف والحريية وسنى المجمع المطبعة الاهلية وهى أكبر مطبعة للآن . ولم تنتشر المطابع فى مصر إلا فى عهد أمانة قانون المطبوعات بعد الاحتلال ومن أشهر المطابع الكبرى الآن مطبعة المقطم والاهرام . أما فائدة العلم والادب منها فأنها سهلت على الناس حيازة الكتب النفيسة بأثمان يسيرة وقللت الخطأ الذى كان فاشيا فى الكتب الخطية ويسرت للجمهور قراءة

الكتب لتقارب حروفها وحملت المتنافسين في التجارة على نشر المؤلفات في
الاختصار الشاسعة وعلى استخراج المنخر منها من قانس القنون النادرة وجملة
القول أن كل حسنة للجرائد والمؤلفات والمؤلفين فأنما مصدرها المطابع

الكتابة وأشهر الكتاب

من زمن محمد علي إلى الآن

كان للكتابة صورتان متميزتان إحداهما الادبية أو الانشائية وكانت
سجما مرصوفا في موضوعات تافهة من شوق وعتاب وتقريظ وتعارف إلى
آخره مع الطول وتكلف البديع وقلة الوفاء بالقرض ومن ذلك ما كتبه
الشيخ الخشاب وهو من أشهر الأدباء في ذلك العهد إلى الشيخ المطار يطلب
منه حاشية الشذور وهو بعد الديباجة : لا يزال روض المجد بك نصيرا وأفق
العلم بهذه الطلعة منيرا وبصر الحوادث عنه خاشعا وحسيرا ولا فتئت على كل
فتى خدام العلم أميرا ولا برج وجه الزمان لمولانا طلقا وشذا المحافل بذكره
عبقا وتمر السرور له باسم أن يفضل بكتابه على الشذور لتقر الأعين
وتنشرح الصدور :

الثانية كتابة الترسيل وهي التي تكون في المصالح العامة والمقالات
وكان هذا النوع إلى عهد اسماعيل في منزلة بين العامة والعريية كما نرى ذلك
في كتاب الحماية لفتحى باشا زغلول . أما في عهد اسماعيل فقد نهضت الكتابة

من عقالها لأسباب حجة منها :

(١) كثرة خريجي المدارس وميلهم الى الكتابة البيئة القطرية
(٢) تعلم اللغة على نظم ميسورة وعناية الحكومة بأمرها (٣) كثرة الوافدين
مصر من الشام وغيرها من حلة الاقلام (٤) انشاء الجرائد المريسة السيارة
والمجلات الحافلة بالموضوعات المفيدة وكان الفضل الاول في ذلك لاهم
فارس في جوائبه وقد كانت في مصر نهضة أخرى للمصريين بعد انشاء قلم
المطبوعات الذي كان رئيسه الاستاذ الامام عليه الرحمة والرضوان فقد كان
يراقب الجرائد وكتابة الدواوين مراقبة شديدة حتى لقد أنذر جريدة الاهرام
وحتم عليها أن تختار المحررين الاكفاء والا تغفلها وعزم على مديري الاقاليم
ألا يكتبوا كتابة سقيمة ولذلك هرع المستخدمون الى المدارس الليلية حتى
يثبتوا أنفسهم في مراكزهم وتكون لهم الكرامة في أعين معاصريهم

هذا وللكتابة من سنة ١٢٢٠ الى اليوم ثلاث طبقات (الاولى) في
الزمن وهي الاخيرة في الترتيب طبقة الشيخ المطار والشيخ الخشاب وهي
طبقة الصناعة الثميلة في المنشآت والادبية انحطاط الاسلوب في غيرها (الثانية)
وهي التي فاقت الاولى ولم تلحق الثالثة في الترسل وقلة التكلف والتصد
الى المعنى البعيد باللفظ القريب ومن أشهر هذه الطبقة رفاعة بك من
متقدميها وعبد الله باشا فكري من متأخريها (الثالثة) وهي التي حذت حذو

المتقدمين من خول الكتاب في العهد الاول كالامام على كرم الله وجهه وابن المقفع والملاحظ وعبد القاهر وقد أضافت الى متانة الاسلوب صحة التذكر ومن أعلام هذه الطبقة احمد فارس والاستاذ الامام و ابراهيم بك المويلحي والشيخ ابراهيم اليازجي ومحمد بك المويلحي والشيخ عبد الكريم سلمان واحمد بك لعلي السيد
برفرد بره

الخطابة

قد مشت الخطابة في ذلك العهد قليلا جدا على نحو ما كانت في بني أمية . وكان من أشهر خطبائه شيب ابن شبة وعبد الصمد بن الفضل الرقاشي وابو جعفر صالح وغيرهم ولكنها لم تلبث ان استعالت الى فن مدون وعلم مقروء واشغل الناس بعدها عن القامها وذلك لامور منها . تعود الخلقاء عن الخطابة واناة غيرهم منابهم في الصلاة بالناس وتبلغ ما يريدون الى الولاية بالكتابة أو بلسان نوابهم :

ومنها أن الدولة لم تكن بحرية بحجة في أكثر أيام بني العباس فقد استخدم المنصور الاتراك واتصر المأمون على الأمين بأخواله الفرس وكان لهم الشأن الاول في أمر الدولة ثم كان ما كان من استقلال الولايات وقيام اللغات المحلية مقام اللغة العربية في كثير من الشؤون : ومنها أن العلماء اشتغلوا بترجمة كتب اليونان في الخطابة ككتاب « أرسطو » وغيره فانصرف الناس

الى فهم قواعدها وأصولها وما يشترط في الخطبة والخطيب وكيف يتبدى وكيف يقتضى وكيف يوقع الاصوات وماذا ينبغي أن يلبس وكيف يجلس وماذا يبيعه وماذا يركبه في عين الجمهور وما شاكل ذلك وغفلوا عن العمل بما علموا لقلة الداعية اليه أو لفساد اللغة في السنة الدهماء فضف شأن الخطابة وشأن القائمين بها وقامت الكتب مقامها في السفارات والحوادث وكادت تقصر على خطب الجمع والأعياد والمواسم وان شئت قلت لم يبق منها إلا خطب الوعظ . وقد رأى كثير من العلماء عجز القائمين بها عن أدائها على الوجه النافع فأخذوا يؤلقون الدواوين مطابقة للاحوال في أزمانهم وأخذ خطباء المنابر يحفظونها ويلقونها كما هي في المواسم التي جماعت لاجلها ولما يلتفتون الى الحوادث الجديدة بكلام جديد لضمفهم عن ذلك : وقد يتفق أن يتنبه بعض الفضلاء فيؤلف ديواناً آخر يذكر فيه الحث أو النهي المناسب لما استجد من الشؤون . ثم مضت فترة طويلة بمد ضعف الامر وسقوط الخلافة من بغداد والخطباء لا يتصرفون في شئ مما ورثوه من دواوين أسلافهم وان اختلفت الحوادث والبلدان التي ألف فيها الديوان : ثم بقي المسلمون في الجهات التي لا تكلم بالبرية بخطبون الخطبة فيها لا يفهمها الخطيب نفسه فما بالك بعامة من يسمعون وتصرفوا في أدائها على المنابر تصرفاً عجيباً يلقونها بالتلحين والتوقيع كأنهم يتغنون بمدينة من مدن مديد . وقد بقي ذلك شأنهم الى اليوم في الاستانة يقرءون الخطبة ويسمعونها تبديلاً لا فهم ولا ارشاداً

فأما الشأن في البلاد الأخرى التي يتكلم أهلها باللهجات العربية المحرفة كعصر والشام والعراق وبلاد المغرب والسودان والصحراء فإن أهلها أصيبوا بمن صنع لهم الدواوين لا على أقدارهم ولكن على أقدار من حضر كتب البلاغة على طريقة سعد الدين التفتازاني والسكاكي والسيد فأكثرُوا من المجازات والاستعارات وتصرفوا في المروى تصرفاً عجيباً لاجل الاسجاع التي التزموها فحرموا الدابة من الفهم ولو سألوها عن معنى ما يسمعون خطيبهم لما كان حفظه من عدم الفهم أقل من حفظ أحدكم

مثال من خطب بني العباس

خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة خمد الله وأتى عليه وقال أيها الناس تقوا الله فقام إليه رجل فقال اذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين قال أبو جعفر سمعاً سمعاً من فهم عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أذكر به وأساء فتأخذني العزة بالانتم لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين وأما أنت « والثقت إلى الرجل » والله ما الله أردت بها ولكن ليقل قام فقال فموجب فبصر وأهون بها لو كانت العقوبة وأنا أنذركم أيها الناس أختها فإن الموعظة علينا نزلت وفيها انبثت ثم رجع إلى موضعه من الخطبة

وخطب بمكة فقال أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسنيده وتأييده وحارسه على ماله أعمل فيه بحشيئته وأرادته وأعطينه

بأذنه قد جعلنى الله عليه قفلاً إن شاء أن يفتحنى فتحنى لأعطائكم وقسم
أرزاقكم فإن شاء أن يبقينى عليها أقتلنى فأرغبوا الى الله وسلوه فى هذا اليوم
الشريف الذى وهب لكم فيه من فضله ما أعطاكم به فى كتابه اذ يقول
« اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت بطيكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً »
أن يوفقنى للرشاد والصواب وأن يلهينى الرأفة بكم والاحسان اليكم أقول
فقلوا هذا وأستغفر الله لى ولكم

وخطب الخليفة المأمون فى يوم جمعة فحمد الله وأثنى عليه وقال أوصيكم
بعباد الله ونسئ بتقوى الله وحده والعمل لما عنده والتبجزلوعده والخوف
لوعيده فإنه لا يسلم إلا من إتقاه ورجاه وعمل له وأرضاه فاتقوا الله عباد الله
وبادروا آجالكم بأعمالكم وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم وبقى وترحلوا عن
الدنيا فقد جد بكم واستمدوا للموت فقد أظلمكم وكونوا كقوم صبح فيهم
فانتبهوا وعلّموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستدلوا فإن الله عز وجل لم يخلقكم
حياً ولم يترككم سدى وما بين أحدكم وبين الجنة والنار الا الموت أن ينزل
به وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وإن غاباً
يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الأوبة وإن قادما يحل بالقرى
أو الشقرة لمستحق لأفضل المدة

فاتقوا عبدي به ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله .ستور
عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يزين له المصنة ليركبها ويمنيه التوبة

ليسوقها حتى تهجم منيته أغفل ما يكون غنها فيالها حسرة على كل ذى غفلة
أن يكون عمره عليه حجة وتؤديه منيته الى شقوة نسأل الله أن يجعلنا وإياكم
ممن لا يبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غفله ولا يحل به بعد الموت
فرعة أنه سيعب الدعاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير فقال لا يريد ومن
خطبة له ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها فإن
كل ما بها يحذر منها وينهى عنها وكل ما فيها يدعو الى غيرها وأعظم ما رآته
أعينكم من جفائهم وزوالها فم كتاب الله لها والنهى عنها فانه تبارك وتعالى
يقول « فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله النور » وقال « اما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتماخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد فانفقوا
بمرفقكم بها وبأخبار الله عنها واعلموا أن قوما من عباد الله أدركتهم عصمة
الله فحذبوا مصارعها وجانبوا خدائهم وآثروا طاعة الله فيها وأدركوا الجنة
بما يتركون منها :

وخطب عبد الله بن طاهر أجناده وقد تيسر لقتال الخوارج فقال
انكم فئة الله المجاهدون عن حقه النابون عن دينه الزائدون عن
محارمه الداعون الى ما أمر به من الاعتصام بحبله والطاعة لولاه أمره الذين
جعلهم رعاة الدين ونظام المسلمين فاستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوه
وأهل معصيته الذين شدوا وتمردوا وشقوا المصا وفاقوا الجماعة ومرقوا من
الدين وسفوا فى الارض فسادا فانه تبارك وتعالى يقول « ان تنصروا الله

ينصركم ويثبت أقدامكم » فليكن الصبر معقلكم الذى اليه تلجئون وعبدتكم
التي بها تستظهرون فانه الوزر المنيع الذى دلكم الله عليه والجنة الحصينة التي
أمركم الله بلباسها غصوا أبصاركم واخفئوا أصواتكم في مصافكم وامضوا
قدماً على بصائرهم فارغين الى ذكر الله والاستعانة به كما أمرهم فانه يقول
« اذا لقيتهم فته فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » أيدكم الله بمنز
الصبر ووليكم بالحياطة والنصر

خطبة لسهل بن هرون — قال الحسن بن خليل

كان المأمون قد استمحل سهل بن هرون فدخل عليه سهل يوماً والناس
عنده على منازلهم فتكلم المأمون بكلام فذهب فيه كل منذهب فلما فرغ
المأمون من كلامه أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع فقال ما لكم تسمون
ولا تسمون وتشاهدون ولا تهمدون وتهمون ولا تعجبون وتنظرون ولا
تبصرون والله انه ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل مطلق بن مروان
وقالوا في الدهر الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كميديهم ولكن كيف
يعرف الدواء من لا يشمر بالداء » قال فرجع له المأمون بعد ذلك الى
الزأى الاول

خطبة خالد بن صفوان — كان خالد عند أبي العباس أمير المؤمنين وكان
من سواره وأهل المنزلة عنده قفخر عليه ناس من بلعرب بن كعبوا كثبوا
في القول فقال أبو العباس لم لا تتكلم يا خالد فقال « أخوال أمير المؤمنين

وعصيته « قال « فأتهم أعمام أمير المؤمنين وعصبة « قال خالد « وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد دل عليهم همدد وغرقهم قارة وملكتهم امرأة «

خطبة شيب بن شينة — أقام أبو جعفر المنصور صالحا ابنه يتكلم في أمرا فأحسن فقال شيب بن شينة تالله « ما رأيت كالיום أبين بيانا ولا أجود لسانا ولا أربط جناحا ولا أبل ريقا ولا أحسن طريقا ولا أغمض عروقا من صالح وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه والمهدي أخاه أن يكون كما قال زهير

يطلب شاو امرأتين قدما حسنا نالا الملوك وبذا هذه السواق

هو الجواد فان يلحق بشاوهما على تكاليفه فشله لهما

أويسبقاه على ما كان من مهمل فشل ما قدما من صالح سبقا

وأخرى له — قيل لبعض الخلفاء أن شيب بن شينة يستعمل الكلام ويستعذ به فلو أمرته أن يضعد المنبر جفاة اقتضع فأمر رسولا فأخذ بيده فأصمده المنبر فحمد الله وأتى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا أن لاير المؤمنين أشباها أربعة الأسد الخادر والبحر الزاخر والقمر الباهر والريع الناضر فأما الأسد فأشبهه منه صوته ومضاؤه وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعطاؤه وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره وضياؤه وأما الريع الناضر فأشبهه منه حسنه وبهاؤه

ومن خطبه القصار قوله للمهدي لما ملت والده الخليفة المنصور وأظهر

عليه جزا شديداً .

يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لك اذ قسم لك الدنيا الا بأسناها
وأعلاها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا بمثل ما رضى الله لك من الدنيا
وعليك بتقوى الله فانها عليكم نزلت ومنكم أخذت واليكم ردت
قد عزى شيب المهدى على ابنة له ماتت فقال

أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزمت أجراً وأعقبك صبراً ولا أجهد
الله بلاءك بنقمة ولا تزع منك نعمة . ثواب الله خير لك منها ورحمة الله خير
لها منك وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل الى رده . وأجمع التقاد من أهل العلم
والادب على أنهم لم يسموا تمزية أعجب ولا أبلغ من هذه التمزية
وقال شيب للمهدى « أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك وأرى
الله بنيك فيك ما أراك في أيك

ومن خطبة داود بن علي التي خطبها على منبر الكوفة يوم يمة أبي العباس
يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا
شيعتنا أهل خراسان فأحياهم حقنا وأفلح بهم جبتنا وأظهر بهم دولتنا
وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون واليه تشوفون فأظهر فيكم الخليفة من هاشم
ويض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشام ونقل اليكم السلطان وعز
الاسلام ومن عليكم بابام منحه المدالة وأعطاه حسن الأيالة فخذوا ما آتاكم

الله يشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فإن الامر أمركم فان لكل
أهل بيت مصراً وأتم مصراً ألا وأنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير
المؤمنين عبد الله بن محمد (وأشار بيده الى أبي العباس) فاعلموا أن هذا
الامر فينا ليس بخارج منا حتى نسله الى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم
والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا

الشعر وأطواره وأغراضه في العهد العباسي

تمهيد — لا يلمح الناظر الى المصور من خلال التاريخ عصرأ أجدى
على الأدب وأربى للعلم وأفسح للفكر من العصر العباسي خصوصاً أنه صدره
الذي ازدان بزينة الدنيا كلها

قد كان الظن بالشعر وقد زاحمته العلوم الدينية والفنوية والفلسفية
والطبية والرياضية وغيرها أن يأيرز ويتراجع عن مده وأن يكون حظه مع
هذه القنون الجديدة (والجديد لليد) كحظ الواحد من ميراث يتقاسمه مائة
وارث ولكن الامة في شبابها تأثى بالعجب العجيب الذي يكاد يخرج عن يد
الامكان فلم يقل ظهرها تدوين لغتها ولا استنباط شريعتها ولا ترجمة علوم
الدنيا في ذلك العهد ولا سن الاناظيم لذلك الملك الكبير ولا استثمار الممالك
الواسعة التي لا تقيب عنها الشمس بل نهضت بكل هذا نهضة لم ترحم الشعر

لا في مادته ولا في معانيه ولا في خياله ولم تقلل من رجاله بل زادتهم عدداً ونبوغاً وتفتناً في أغراضه وأساليبه وأوزانه حتى كان التزامه على هذه العلوم إنما كان وسيلة لأعلاء الشعر وكان العلوم جعلت مراق له . ولا عجب فقد اجتمع العرب والعجم في هذا الزمان على انهماض اللغة والعلم والدين وصاغت بلاغة العرب أفهام الفرس والهند والروم وبلغ التنافس بين هؤلاء الاقوام المبلغ الذي رأى فيه العجمي أن لا فضل للعربي عليه لانه يعرف من لسانه ودينه وعلمه ما يعرفه العربي بل قد نبع كثير من الموالى وزاحمو العرب حتى في فصاحتهم بل كان أكثر الشعراء منهم حتى في الصدر الاول لهذه الدولة فهذا بشار بن برد حامل لواء الشعراء في ظليعة العصر العباسي من الموالى — وكذلك مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر وأبو نواس وأبو المتاهية والحسين ابن مطير مولى بني أسد وسديف بن ميمون مولى خزاعة وداود بن سلم مولى بني تميم وأبو ذلامه ومحمد بن عبد الحميد وحسين بن الضحاک مولى باهلة وأبان ابن عبد الحميد وهو الذي أبدع الشعر المزدوج والمسطوط ونظم كتاب كليله ودمنه شعراً وفي مطلعته يقول

هذا كتاب أدب وعنه وهو الذي يدعى كليلته دمنه

فيه احتمالات وفيه رشد وهو كتاب وضعت له الهند

ولا أطيل فيما هو مشهور وانما الذي يزيد أن قوله أن الموالى سارعوا

الى التبوغ في أحكام الدين وعلموه وحفظ الآلة وضبط فنونها والمهارة في

الشعر والكتابة تقربا للعرب واستمطارا لخيرهم الجم فلما أحسوا بتفوقهم نافسوا
في الملك والسلطان وخاصة في هذا العهد الذي قرب فيه الباسيون القروس
الناقين على بنى أمية وقربوا عاصمتهم منهم واستخدمهم الخلفاء في كل شيء
جل أو قل ومنحوم من المزايا ما لم يمنحوا العرب مثله فامتلا جميع الدولة
بهم وسرت العادات والمعتقدات من هؤلاء إلى هؤلاء فسرى للشعر ما لم
يكن له في زمن بنى أمية وأخذ الشعراء يتفتنون في المعاني والخيالات الجديدة
ويتخذون الأساليب البديهة وإن كان كثير منهم لم ينس ما كان عليه خصوصا
منهم من لم يختلط وذهبوا فيه مذاهب شتى فمنهم من تشق الصنعة فيه
والاحتيال على البديع كابن هرمة وبشار ومسلم وأبي تمام وابن المعتز وقد كثر
بعد هؤلاء وتقل كما ترى في كثير من شعراء القارص . ومنهم من ابتدع
بدعة النزول في المذكر وأول من عرف عنه ذلك والبة بن الحباب وقد اتبعه
في ذلك وأربى عليه أبو نواس والحسين بن الضحاك ثم سرى إلى من جاء
بعدهم حتى صار أمرا ممتادا لا كثر الشعراء وهذه المسألة لم تكن معروفة
في جاهلية العرب ولا في صدر الاسلام ولكن الاختلاط بالترك والقروس
جر إليها . ومنهم من أطلق لنفسه العنان في نعت الحمزة والحث عليها وتزينها
وأول من اشتهر بذلك شهرة دائمة غالب بن عبد القدوس أحد شعراء خراسان
ثم تبعه الشعراء والسبب في ذلك أن بعض القهقاء في العراق أحلوا شرب
النبيذ وحرموا السكر وخذوه بحمد غير مانع « وهو أن يصل الشارب إلى حد

لا يعرف معه الرجل من المرأة ولا السماء من الارض ، فكان الناس يشربون ويسكرون ولا يدخلون في حد السكر فتساهل الامراء في الامر وعقدوا مجالس الشرب وجمعوا اليهم الشعراء والمجان وأهل الخلاعة حتى يتم لهم الأتس فقالوا الاشعار فيها تم تهكوا ووصلوا في التهلك إلى حد لم يسبق له نظير لا في الجاهلية ولا في الاسلام . وهناك سبب آخر وهو أن الحرية أطلقت خصوصاً زمن المأمون فأخذ كل يقول فكره بلا مبالاة فتشأ من ذلك ظهور الاباحيين ومن لا يرون في الحياة إلا التمتع بالذائد فانقسخ بذلك ميدان الشهوات ومنهم من كان على عكس هؤلاء من التزهيد في الدنيا والرغبة فيما عند الله كأبي التماهية وقد كان شعره دعامة من دعائم التصوف الذي الذي اضطر كثير من العلماء البصراء الى جلبه وصبغه بصبغة الدين حتى يردوا هذا التيار الجارف تيار التسقي . والاحاد فان دخول الفلسفة وإذاعة الشبهات على الدين في أمة أكثر حكامها وأهل المظاهر فيها من المشايخين لها يمز الامة هزة عنيفة ويخرجها عن طور الاعتدال في المعتقدات ويفريها بالشهوات فلم يكن بد للعقلاء من أن يفكروا في إيقاظ الامة من هذه الورطة ولذلك تصدى كثير من ذوى الدين والعقل الراجح أن يحتالوا على النفوس بإبعادها عن الشهوات ومهاوى الملكة بأن يحملوا العامة على اتباع شيوخ منهم ذوى دين وورع وألا يعبأوا شيئاً إلا بارشادهم وأن يكون أحدهم مع شيخه كالليت في يد الناسل يقلبه في الاعمال والمعتقدات كما يرى المصلحة له

ولا ينقله من درجة من العلم الى غيرها إلا إذا عرف الاولى حق المعرفة حتى
تدخل عليه العقائد وهو مستعد لها ولا يهاجم بها مهاجمة قنصره وقد أفاد
التصوف من هذا الوجه فائدة جليلة فانه أبقي على الناس دينهم وأخلاقهم
ونعى فيهم الصفات المفاضلة من حب الخير للناس وكف الاذى عنهم والسعى
في مصالحهم ووجود التأخى بين العربى والعجمى والعمل على إزالة الفوارق
بين المسلم والمسلم ومكن كثيراً من الناس أن يسيروا على سنة التبديع في
تعقل الاشياء حتى صاروا من النوايع في علوم الشرع وعلوم الدنيا وحتى
حسد المفقهاء على منازلهم عند الامة وعند الامراء لانهم صاروا فيما بعد قدوة
عامة وكانت لهم مكانة مرموقة لان العامة تبع لهم والحكام فى كل عصر
لا يرهبون شيئاً أكثر مما يرهبون العامة لانهم الامة ولان سيلهم الجارف
إذا تحرك لا يرد راد ولا يصد صا . والذي يهمننا من هذا أن الشر كذا
كان مدعاة الى اللهو والتهتك كان مدعاة الى الجد ومخافة الله وقد كثر هذا
النوع منه فى آخر العهد العباسى حتى صار وعاء الحكمة

وعلى الجملة قد انتقل الشعر العربى فى عهد العباسيين نقلة ظاهرة فى لفظه
ومعناه وخياله وأسلوبه . واتساحه للعلم والحكمة . أما لفظه فكان على الجملة
أرشق وأنصع وأبعد عن الحوشية اللهم ألا شعر الرجاز الأولين فانه كان
أصعب من شعر البادين من شعراء الجاهلية كراجيز رؤبة والزيفان ولولا أن
الذين تقدمونا ممن شافهم أو شافحوا مشافهمهم شرحوا لنا مآنيها لم نكن

لنستطيع اليوم أن نفهم ثلاثة أبيات منها متواليات وأن قرأنا القرآن والسنة والمعلقات . وهذه أشعار بشار وأبي نواس وعلي بن الجهم وابن المعتز وغيرهم ناطقة بذلك مثل قول بشار يتهراً من الغزل ويمدح المهدي لما نهى عن الغزل الذي يحض على التجرر مثل قوله

(لا يؤيسنك من مخدرة	قول تغلظه وان جرحا)
(صر النساء الى مياسرة	والصعب يسلس بعدما جحا)
يا منظرآ حسناً رأيته	من وجهه جارية فديته
بشت الى تسومنى	برد الشباب وقد طويته
والله رب محمد *	ما ان غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما	عرض البلاء وما ائبتيه
ان الخليفة قد أبى	واذا أبى شيئا أيتيه
ومغضب رخص البنا	نكى على وما بكيتيه
ويشوقنى بيت الحبيب اذا اذكرت	وأين بيته
قام الخليفة دونه . .	فصبرت عنه وما قلتيه
ونهبانى الملك الهمام	عن النساء وما عصيته
لا بل وفيت فلم أضع	مهدياً ولا رأياً رأيته
وأنا المطال على العدا	واذا غلا الحمد اشتريته
وأميل فى أنس القديم	من الحياء وما اشنيتيه

أصنى الخليل إذا دنا وإذا نأى عنى نأيته

وقوله في مدح عقبة بن سلم بن قتيبة

إنما لذة الجواد بن سلم في عطاء ومركب اللقاء
ليس يطيك للرجاء وللخو ف ولكن يلذ طعم العطاء
يسقط الطير حيث ينتثر الحب ويقضى منازل الكرماء

وقول أبي نواس في صفة الحرة

فتشت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم
فملت في البيت اذ مزجت مثل فمل النار في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السفر بالمسلم

وهذا ضرب من المبالغة التي أولع بها الشعراء المولدون وفاقوا بها

الشعراء الذين تقدموم . ولأبي نواس خاصة مبالغات كثيرة مشهورة منها

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ومن أكثر الناس مبالغة أبو الطيب المتنبي في مثل قوله

روح تردد في مثل الخلال اذا أطارت الريح عنه الثوب لم ين

كنى بمسمى نحو لا أنى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترفى

وقوله

عقدت سنا بكها عليها عثرا لو تبغى عفا عليه لا مكنها

وقوله

«عقدت سنابكها عليها فخبيرا لو تبنتى هتقا عليه لأنكنا»

وقوله

طلبتهم على الأمواه حتى تخوف ان تفتشه السحاب

ومن البين الحسن المأخذ قول دعبيل

أين الشباب وأية سلكا لاأين يطلب غنل بل هلكا

لا تسجي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

يا ليت شعري كيف يومكما يا صاحبي اذا دمی سفكا

لا تأخذا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمی اشتركا

أما معنى الشعر فقد كثرت كثرة لا تقاس بغيرها في عصر من العصور

لمدة أمور . الاول . شيوع المعاني التي ورثت من السنة النبوية لان تدوينها

ونشرها كانا في هذا الزمن . الثاني . شيوع الكتاب العزيز وكثرة قرائه

ومفسريه فان التأليف في تفسيره لم تشتهر إلا في هذا الزمن . الثالث .

انتشار الحكمة عن الأولين مترجمة عن القرس واليونان والهند . الرابع .

اتساع الحضارة وازدياد الثروة وما يتبع ذلك من النعيم وجمال البناء والاثاث.

والرياش والجوارى والتلهاذ ومجالس الأدب والآنس . الخامس كثرة

المطايا كما قال

لئن جاد شعر ابن الحسين قائما تجود العطايا والهي تفتح الله
وفي شعر أبي القاهية من المعاني المأخوذة من الكتاب والسنة وحكم
الأولين شيء كثير وكذلك شعر صالح بن عبد القدوس على اتهامه بالزندقة
وأما شعر أبي الطيب فهو حكمة منظومة وكذلك شعر أبي الدلاء المعري
وسنين ذلك حينما يخصهما بالذكر

وأما الخيال فقد نما وبدع وان في الاشعار التي مدح بها البرامكة
وحدهم ما يربو على الخيالات السابقة ألا ترى الى قول مروان بن أبي حفصة
في المهدي يرد على الذين يقولون بالخلافة للعلويين

هل تطمسون من السماء نجومها بأ كفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية بترانهم فأردتموها ابطالها
وقول بشار بن برد

لمست بكفى كفه أبتى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدنى
فلا أنا منه ما أفاد ذوئى الغنى أفدت وأعدانى فأقلت ما عندى
وقول أبي نواس فى الفضل

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وقول مسلم فى يزيد بن مزيد الشيبانى
موف على مهج واليوم ذو رهج كأنه أجل يسعى الى أمل

ينال بالرفق ما يعيا الزجال به - كالموت مستجلا يأتي على مهل
 وقوله في مدح داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب
 تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها - والجود بالنفس أقصى غاية الجود
 وقول أبي تمام من قصيدة يمدح بها الحسن بن رعاء
 لا تنكرى عطل الكريم من التقى - فالسيل حرب للمكان العالي
 وتنظري خيب الركاب ينصها - محي القريض الى مميت المال
 وقوله

يا صاحبي تقصيا نظريكما - تريا وجوه الأرض كيف تصور
 تريا نهارا مشرقا قد زانه - زهر الربا فكأنما هو مقمر
 وقول ابن الرومي في بغداد وقد غاب عنها

بلد صحبت به الشيبية والصبا - ولبست ثوب اللهو وهو جديد
 فاذا تمثل في الضمير رأيت - وعليه أغصان الشباب تميد
 وقوله في صانع الرقاق

ما أنس لا أنس خبازا مررت به - يدحو الرقاقة مثل اللبح بالبصر
 ما بين رؤيتها في كفه كرة - وبين رؤيتها قوراء كالقمر
 ألا بمقدار ما تنداح دائرة - في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر
 أما اتساحه للعلم والحكمة قفى - شعر أبان بن عبد الحميد في الصدر
 الاول وشعر أبي الطيب في أول الصدر الثاني وأبي الغلاء في آخره ما فيه مقنع

وأما الأسلوب فإن أريد به وضع الكلمات مواضعها في النظم فإنه باق على ما كان عليه وإن غير لم يكن كلاماً عربياً. وأما أن أريد به محاكاة العرب في طريقها في نظم الشعر من جهة وزنه وقافيته أو من جهة افتتاحه بالنزل ثم الانتقال منه بنحو دع ذا أو بالاعتضاب فقد تغير كثيراً
أما الأوزان فقد زيد فيها أنواع شتى منها أوزان ولها الخليل من عكس دوائر البحور كالاستطيل وهو عكس الطويل وكالمتمد وهو عكس المديد. وقد اخترع الشعراء أوزاناً كثيرة خصوصاً أوزان الموشع والموالي والقنون السبعة التي اخترعت في الدولة العباسية

وأما القافية فقد استحدث فيها المسمط وهو الابتداء ببيت مصرع ثم بأربعة أشطار على قافية واحدة ثم بشرط من جنس ما ابتدأ به. ثم الخمس وهو الاثنيان بخمسة أقسمة من وزن وقافية ثم بخمسة أخرى. ثم المزدوج وهو الذي نظمت به الميرون كألفية ابن مالك كل شطرين بقافية وهكذا وأول من نظم في هذه الأنواع على ما وصل إلينا بشار بن برد وأبان في ترجمة كلية ودمثة وبشر بن المعتز وابن المعتز ثم كثير بعد ذلك كثرت المعروفة

أغراض الشعر

أما أغراضه فإنها تابعة في زيادتها وزيادة المدنية فقد زادت أغراضه في بني أمية عن الجاهلية وزادت في هذه الدولة عن دولة بني أمية وهي أثاره

النصبية والمفاخرة بالايام والأعمال غير أن المفاخرة في هذا الطور لم تكن بين العرب خاصة بل كانت إما بين العرب والعجم كما في شعر بشار وعبدالله ابن طاهر وسعيد بن حميد وغيرهم من الشعوية الذين يفضلون العجم على العرب وإما بين المضرية واليمانية كما في شعر قنبر ومسلم بن الوليد كانا يتهاجان يفضل الأول المضرية والثاني اليمانية

وأما ابن شيعة آل العباس وآل أبي طالب كما في شعر مروان بن أبي حفصة والسيد الجهمي

الثاني — الغزل والتطرف به كما في شعر عباس بن الأخنف

الثالث — التكسب به وقد زاد فظاعة في هذا العصر وتكالب أكثر الشعراء على بيوت الخلفاء والأمراء وتوسلوا لذلك بكل ما يستطيع وقد أفسح الخلفاء المباسيون للشعراء الإقامة عندهم فتحضر كثير منهم ومرن على الملوك قتل فيهم صاحب السيادة وقل العفيف

الرابع — الخلاعة والمجون وقد اشتهر بذلك أبو نواس وأضرابه ولم يكن فاشيا من قبل وإنما جر هذا الانغماس في النعيم واسترسال الأمراء في منادمة الشعراء في مجالس أنسهم

الخامس — تقييد الحكمة وقد زاد هذا زيادة مطردة حتى في زمن ضعف الخلافة فإنه ظهر بأكل مظاهره لأن التعاليم كانت استمرت في الناس وسارت حتى سهل على الدهماء أن يفهموها من الشعر وأن يقيدها فيه

السادس — نظم الكتب والتون والقصص وقد زاد هذا أيضا زيادة
مطرودة حتى إبان الضيف بل كان فيه أظهر منه أيام القوة
السابع — التحلى بالأدب ليصلح الشاعر لمجالسة العظماء
الثامن — التهانى بالاعياد والمواسم وقد كثر في هذا الطور كقول
أشجع وقد دخل على الرشيد في عيد القطر

استقبل العبد بمر جديد مدت لك الايام جبل الخلود
واطو رداء الشمس ما أطلعت نوراً جديداً كل يوم جديد
تمضى لك الايام ذا غبطة اذا أنى عيد طوى عمر عيد
لأن مجالسهم لم تكن تخلو من الأدب والمتأدين ومطارحة الاشعار
وانشائها في وصف الاشياء وقد كان الخلقاء يمتحنون الشعراء في وصف
السيوف أو الجوارى أو أيام الصيد والأنس تشجيذاً لقرائنهم ولاعدادهم
لنيل جوائزهم وكان المهدي والرشيد من أكثر الخلقاء بحثاً في الشعر والرواية.
وربما عقد المجلس الحافل للبحث في معنى بيت . وعلى الجملة كانت بغداد
تجمع العلماء والرواة والشعراء والكتاب وكان خلقاؤها يقربون كل من
يتسبب الى علم أو يمت الى الأدب بوسيلة

الثامن — ترفيقه للتغنى به والحظوة عند الاكابر وقد كان ذلك في
الجوارى والغلمان وهو في الجوارى أكثر ولذلك فشا الأدب بين الموالى
من الرجال والنساء فشوا كاد ينسى الناس ما عند الغرب منه . ومن ذلك .

ما رواه صاحب الأغاني أن المتوكل دعا على بن الجهم وقال له اني دخلت على
خميلة فوجدتها قد كتبت اسمي على خنثها بغالية فلا والله ما رأيت شيئاً
أحسن من سواد تلك الغالية على يياض ذلك الخلد . وكانت محبوبة جارية
المتوكل تسمع من وراء الستر (وهى جارية مولدة أهداها عبد الله بن طاهر
في جملة أربعمائة وصيفة الى المتوكل) فطلب ابن الجهم دواة وأخذ يفكر
فقال محبوبة على البديهة من غير فكر ولا روية

وكتابة بالمسك في الخلد جعفرا بنفس مخط المسك من حيث أترا
لأن كتبت في الخلد سطرأ بكفها لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا
خيامن للملوك الملك يمينه مطيع له فيما أسر وأظهرا
ويا من منالها في السريرة جعفر سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا
وبقى على بن الجهم واجمالا ينطق وهو عربي قرشى فصيح مطبوع
قربه المتوكل وجمله من جلسائه

ذكر بعض من اشتهر من الشعراء في العهد العباسي

الشعراء في عهد بني العباس اكثر من أن يعدوا ومن أشهرهم في العهد
الأول بشار بن برد والسيد الحميري ومروان بن أبي حفصة وهم من مخضرمي
الدولتين وأبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو المتاهية في العهد الذي يليه
وأبو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز وهم أعلام زمانهم ثم أبو الطيب

المتني وأبو فراس الحمداني ثم أبو العتلاء المرعي وابن زيدون وابن مهاني*
 وابن عمار من الأندلسيين . ولا ينفسح الوقت لبيان أقدار هؤلاء الشعراء
 وأضرابهم ومقارنتهم ببعضهم ببعض ولذا عمدنا إلى تخصيص بعض مشهورهم
 بالذكر كأبي نواس وأبي الطيب وابن زيدون ليكون ذلك مثالا للطلّاب
 يحتذيه إذا كتب أو قُب

أبو نواس

هو الحسن بن هاني* الحكمي وأما نسب إلى الحكمي لأن جده
 عبد الأول ابن الصباح كان من موالى عبد الله الحكمي وإلى خراسان في
 عصر بني أمية وأما أبوه هاني* فقد كان من أهل دمشق ومن جند مروان
 ابن محمد الحمار وانتقل إلى الأهواز للرباط بها فتزوج بطلان وكانت إقامتها
 في قرية استان ما تارد فولدت له أبا نواس سنة ١٤١ هـ في خلافة أبي جعفر
 المنصور ثم انتقل والده بعد سنتين من ميلاده إلى البصرة فنشأ بها فأسلمته
 أمه إلى عطار ليتخرج في تجارة المطارين وقد كان مع هذا يختلف إلى الأدباء
 ويعترف أخبارهم وأشعارهم ويحفظ لمقدمهم ويجب بشعر النابغين من عصره
 ويتلف أخبار الأدباء من العواصم الإسلامية ويتسقط أنديّة الأدب في
 البصرة ويحاول مجارة أصحاب الترائز المطبوعين من الشعراء
 وكان في طبع أبي نواس رقة وفي شائلة ظرف وفي وجهه وسامة وفي

منطقة عذوبة وكان ميالا الى الشعر الجيد السهل المخلوط بالمجون لان فيه
فكاهة ولزوايته في مجالس اللهو موقعا من النفوس ليس لسواه فرأى في
شعر واليه بن الحباب طلبه فأحبه على بعد الدار وكان واليه من أهل الكوفة
وكانت نفس أبي نواس تتمشق روحه على البعد فانفق ان قصد واليه
الاهواز ليردح أبا بجير الاسدي عامل المنصور عليها فر في طريقه بالبصرة
على المطار ليأخذ بعض حاجة في السفر فلقى عنده شابا جميل الصورة ذكي
الفؤاد خفيف الظل طلق اللسان حسن الخيال حاضر الجواب جم الظرف
نجس يحادثه ويناديه ويناشده فأعجب به ذلك الشاب وأحبه واليه لما
رأى فيه من مخايل التجابة وظرف الشائل وقال له ان فيك مخايل أرى
ألا تضيقها وستقول الشعر فهل تصحبنى أخرجك فقال ومن أنت قال
أنا أبو أسامة واليه بن الحباب فقال نعم أنا والله في طلبك ولقد أردت
الخروج الى الكوفة لآخذ عنك وأسمع منك . فكأن أبا نواس قد
ساق الله اليه سعادته وصانح كل أمانيه فجاء ففضى معه وصحبه بالكوفة
ولازم مجالس الادباء والخطباء معه وكان يختلف أثناء ذلك الى العلماء بالافقة
والاخبار فيأخذ عنهم ومن هؤلاء أبو زيد الانصارى وأبو عبيدة معمر
ابن المنثري ولم يكن ليفعل النظر فيما كتبه العلماء والادباء من كتب اللغاة
والنحو وغيرها فلم يفته كتاب سيبويه ولا كتب أبي عبيدة والفرافرا وأمثالهم

بل انهم النظر فيها واجاد فهمها فتيغ له طبع في الشعر وفهم في العلم ليسا
 لغيره من امثاله وما زال يستزيد حتى فاق نظرائه من اصحاب واليه وشهد له
 العلماء بالنبوغ في علومهم ودخل في عداد الطبقة الاولى في نظر عجالسيه وان
 لم يعرفه الخلفاء والامراء اذذاك فلما تافت نفسه الى هذا المظهر الذي هو
 به جذر قدم بغداد وقد اوتت سنه على الثلاثين فلم يدرك بها احداً من الخلفاء
 قبل الرشيد فاتصل ببعض الامراء الذين كانوا يعرفون بعض اخباره من
 اشعراء الواقفين عليهم فرأوا منه فوق ما سمعوا وبلغ خبره الرشيد اذق له
 في مدحه فدحه ونال عنده حظوة لم ينلها شاعر قبله واتصل بكثير من
 امراء الامصار فدخلهم

ومنهم الخصيب احد الامراء بمصر ثم انقطع بعد هرون الى ولده محمد
 الامين ولم يزل يتوسط على النعيم معه الى ان مات فلهقه ابو نواس بعيد قتله
 في آخر سنة تسع وتسعين ومائه او اول مائتين

(مكاته في الشعر والادب)

قد حدد ابو نواس درجته فقال . سفلت عن طبقة من كان قبلي وعلوت
 على طبقة من جاء بعدي فأتا نسيج وحدي وقائه قد اطلع على النيب فأخبر
 خبراً صادقا عن مجيئه بمدحه فأتا لم نر حتى الساعة من برابا نواس في الادب
 من الذين جاءوا بعده

ولعله يريد بالتسفل عن قبله والارتفاع عن بعده الاسلوب فان كان كذلك فكلامة صدق وان اريد آتفنن في الشعر والطبع وسعة الخيال وحضور البديهة وغرابة المادة وحسن الاختيار فلا يخلو كلامه من تواضع لاث كثير آمن تقدمه لم يبلغ مبلغه في هذا فلم يكن عمر بن ابي ربيعة على شهرته كابي نواس في التفنن ولم يكن الفرزدق مثله في حضور البديهة ولا الاخطل في سعة الخيال ونست الحمر والعيد وايام الصيد بل لا نعرف من يماثله في ذلك . انا تفوقه على معاصريه فيدل عليه انه كان يقول القصيدة الممتعة الملائى بالمعاني المبتدعة في الاسلوب الطريف فيهب للشراو الى معارضتها ويتعملون لذلك وهي بين ايديهم يمرنون لفظها ويفهمون معناها ولا يبلغون شأوها وقد بلغ معارضوه من كبار الشعراء في عصره نيفاً وأربعين شاعرا وشاعرة وكل هؤلاء كانوا ادونه كما قال . فاذا عارض هو سواء به فقد بزبان بن عبد الحميد اللاحق لما ناقضه في القصيدة التي رفعها الى الفضل بن يحيى ومطاعها .

أنا من بنية الامير وكنز من كنوز الامير ذو افصاح
 كاتب حاسب خطيب أديب ناصح راجع على النصائح
 شاعر مغلق أخف من الرشاة مما تكون تحت الجناح
 لي في النحو فطنة واتقاد أنا فيه قلادة بوشاح
 ثم أدوي من ابن سيرين للشمس وقول النسيب والامداد

وظريف الحديث من كل فن وبصير بترهات السلاح
وهي طويلة فتأقضه أبو نواس بأخرى قال في مطلعها
أنت أولى بقلة المظ مني يامسى بالليل الصياح
لم يكن فيك من صفاتك شيء غير خلق مجدر دحداح
لحمة نظة ووجه قبيح واتشاء من النهى والصلاح
فيك ما يحمل الملوك على الخزق ويزري بالسيد الجعجاع
فيك به وفيك عجب شديد وطماح يفوق كل طماح
بارد الطرف مظلم الكذب ذوخر قمعيد الحديث نزر المزاح
فالذي قلت فيك باق صحيح والذي قلت ذاهب في الرياح
فانك لا تجد في كل قصيدة أبان ما يزن قول أبي نواس (بارد الطرف)
وحدها ولما قال أبو نواس

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء وداوئي بالتي كانت هي الدواء
عارضه كثير من الشعراء منهم الحسين بن الضحاك بقصيدة طويلة
مطلعها

بدلت من تفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الابل والشاء
ثم ذهب الى ابن ميادة بمكة ليشمها ويحكم بينه وبين أبي نواس فأسمعه
قصيدة فكان أنى على بيت منها قال جيد حتى أنى عليها كلها فلما استنشده
قصيدة أبي نواس وبلغ قوله فيها

صفرًا ولا تنزل الا حزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء
قال ان هذا البيت بني بقصيدتك . ثم عارضها بعد ابن المعتز فأجاد
الاحسان وكانا فرسي رهان وبقى الفضل للمتقدم

هذا ولا نطيل بذكر معارضيه كسلم بن الوليد والجزاز والرقاش واهل ابراهيم
فان احدا من هؤلاء لم يظفر به واكثرهم اتقطع خلفه بمراحل .

وقد عارضه الذين جاءوا بعده ومنهم أمير اشعر رب السيف والقلم للمرحوم
عمود سامي باشا البارودي فوقق الى ما ينقطع عليه الأولون او وصل اليهم
علمه عارضه في قصيدة الخصيب التي ستجيء بعد

ومن وجوه تفوقه انه كان يطارح أهل عصره ويمانتهم على البديهة فلم
يكن منهم احضر بديهة ولا اسد جوابا ولا احكم معنى ولا ارشق لفظا
ولا اكثر ابداعا منه واخبار مماثاته ومطاراته وبدائع بدائنه بمسوعة في
ديوانه وغيره من كتب الادب

ومن وجوه التفوق ايضا انك تجده على كثرة ما قال في فنون الشعر
وضروبه الطريفة وعلى ما يخيل اليك انه غير متخصص قد فاق المتخصصين
في كل ما تخصصوا به فتجده في غزله أغزل من النباين بن الاحنف وأنى له
مثل قوله

انى لأرحم قلبى أنت اكافه . عنك السلو ولو قطعت أنفاسى

الله فى فقد عذبتنى حججا . بالقرب والبعد والاطماع والياس

أو قوله .

لو نظرت عنها الى حجر ولد فيه فتورها ستما
وتجده في النصح والوعظ أو عظم وأرشد من أبي التاهية وهل في
شعر أبي التاهية في الحث على الصمت في موضعه مثل قول أبي نواس

خل حبيبك لرام واهض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

ربما استفتحت بالمزح مغاليق الحمام

رب لفظ ساق آجا ل نيام وقيام

انما السالم من أجم فاه بلجام

فالبس الناس على الصحة منهم والسام

وعليك القصد ان القصد أبقى للحمام

شبت يا هذا وما تترك أخلاق الغلام

والمنايا آكلات شاربات للأنام

فان وجد مثل هذا فهل تجد مثل قوله

اذما تحن الدنيا لبيب تكشفت له عن حده في نياح صديق

فان المأمون لما أنشد هذا البيت قال : لو أن الدنيا نطقت فوصفت

نفسها لما عبرت عنها عبارة أبي نواس

واذا نظرت الى شعر الزهاد والعباد وقرنته بشعره رأيت شعره في

هذا المعنى يفوق أشعارهم بحسن سبك وخفة ظله وأحكام ما جاء فيه وهل
تجد أحداً من النساك أبى في حجة تلبية أبى نواس في قوله حينما حج ولبي

الهنأ ما أمد لك .. عليك كل من ملك

لييك قد لبيت لك .. لبيك ان الحمد لك

والملك لا شريك لك .. ماخاب عبد سألك

أنت له حيث سلك .. لولاك يارب هلك

لييك ان الحمد لك .. والملك لا شريك لك

كل نبي وملك .. وكل من أهل لك

وكل عبد سألك .. سبى أو أبى فلك

لييك ان الحمد لك .. والملك لا شريك لك

والليل لما أن حلك .. والسباحات في الفلك

على مجارى النساك .. لبيك ان الحمد لك

والملك لا شريك لك .. يا خاطئاً ما أغفلك

اعمل وبادر أجلك .. واختم بخير عملك

لييك ان الحمد لك .. والملك لا شريك لك

وقل كذلك في الداح والمجان والوصانين ولو شئت اتيان ذلك كله لما

وسعنا فيه . وثأف حافل . وجملة القول ان أبان نواس قل في كل شيء وأجاده

وحسبه قول البعتري فيه (لو قسم احسان أبى نواس على جميع الناس لو سمعهم)

(شعره وأثره)

هو أكثر طبقته شعرا ولا يقل ما نقل عنه تقلا صحيحا عن عشرة آلاف بيت وأكثرها في المدائح والحريات والمجون والاهاجي وصفات أيام الصيد ومجالس الانس وقد سقط من شعره شيء كثير من الرواة وروى له أهل مصر أشعارا لم يعرفها أهل العراق وفي العراق شعر لم يعرفه أهل مصر ووجدت نقائص كثيرة نقص بها أصحابها أشعارا له ولم يصدر الرواة عليها وإنما عثروا على أبيات مفردة منها وكل ذلك يدل على أن الرجل كان ذا عيون النابغة التي لا ينقطع ماؤها المذهب وقد بسط ذلك حمزة بن الحسن الأصبهاني في مقدمة الديوان وبين مقدار ما جمعه من شعره

أما أثر شعره في النفوس فالشغف بالشهوات وتلبية دواعي الهوى فإنه انفرد بالابداع في نعت الحمرة فقد وصفها كما يقول أحمد بن يوسف الكاتب وصفا لو سمعه الحسانان (يريد الحسن البصري وابن سيرين) لهاجرا إليها واعتكفا عليها وقد كانا من كبار الصالحين والعلماء العالمين وحسبك أنه زاد هذه البدعة الرذلة بدعة النزل في الذكر وبالغ في التهتك والاستهتار بغرور الدين وبتى جاءه المعنى البدع قاله وإن جرح في طريقة المعصوم كما قال في الايات التي أرسلها الى عنان محبوبته الشاعرة النابغة وقد رآها مسلم في يد خادمه وهو ذاهب فأخذها وخرقها شفقة على أبي نواس وحقا على ما جاء فيها وهي

لأننا نحن على سرى وسركم غيرى وغيرك أو على القراطيس
 أو طير فيزوج انى سأ بعثه قد كان صاحب تدليس وتدسيس
 وكانت هم سليمان ليذبجه لولا قيادته فى أمر بلقيس
 فأنت تراه فى البيت الاخير قد قلب المعنى الذى جاء به المهدد لسليمان
 وهو اخباره عن ملكة سبا وعن جندها وقوتها وعبادتها للشمس وغير
 ذلك وان سليمان انما عنا عنه لانه قام له فى هذا الفتح مقام الرواد الناصحين
 وليس فى الحكاية ما يدل على المعنى الذى اخترعه ليفك به صاحبه أو من
 إطلع عليه من أخصائه. وله فى بعض قصائده من هذا شيء كثير بل
 فيه صريح الكفر والحث عليه مثل قوله

ألا فاسقني خمر أو قل لى هى الخمر ولا تسقنى سرّاً إذ أنه كن الجور
 نهيش الفتى فى كره بعد سكرة فان طال هذا عنده لصر له مصر
 زما انفسه الا أن ترانى صاحباً وما النعم الا ان يتمنى السكر
 فبح باسم من أهوى دعى من الكنى فلاخير فى الذات من دورها اختر
 ولاخير فى بنتك بغير حجة ولا فى مجون ليس يتبعه كفر

فقد جرى وراء شهوته الى حد الاستهتار بالمعاصى والتلذذ بالفضيحة
 والروق عن الجادة فى الدين وقد صادف قوله هذا وأمثاله هوى من
 نفوس الناس وقد كانت دبت اليهم فلسفة اليونان ونشأ فيهم علم الكلام وايراد

الشبه على الدين فكان شعر أبي نواس مشايخاً لذلك الديب وقد عده بعض
الناس ظرفاً وأدباً قد سلا فيه وحاكوه وتنادروا به ومزجوه بأشعارهم
ورسائلهم الخاصة وافتنوا به أى افتتان وتناقله الخلف وجري كثير منهم
على طريقته وإن كانوا لا يشربون الخمر ولا يأتون الفواحش وإنما كان ذلك
منهم نظرفاً وأدباً في نظرهم . ولو نقل الينا شعر بشار كما نقل شعر أبي نواس
لسكانت الجناية على اللغة من حيث الآداب أنسى لأن أبا نواس نزع منزع
بشار فظاً ومعنى وكثيراً ما جري في مضمار معانيه وتابعه في زندقته وتهتكه
وساعده على ذلك منشؤه بين الخلفاء والجمان في الكوفة مع والبة والحسين
ابن الضحاك الخليل وغيرهما وقد قال الجاحظ في وصف الشعراء « وأما بشار
وأبو نواس فمنهما واحد والمدة اثنان بشار حل من الطبع بحيث لم يتكاف
قط قولاً ولا تعب من عمل شعر وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل
شعره الى القلب بلا أذن » . وإذا نظرت في شعر أبي نواس وجدته كما قال
الجاحظ خصوصاً منه ما كان في صفة الخمر وسقاتها . ألا ترى الى قوله
وقد ترك طريق المتقدمين في افتتاح قصائدهم بذكر من يحبونهم محبة
صحيحة عفيفة وحث على انتهاز اللذات الحاضرة

لاتبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كاساً اذا انحدرت في حلق شاربها أجدهته حمرتها في العين والجد
فلخر يا قوتة والسكاس أوأوة في كفف جارية ممشوقة القعد

تسليك من يدها خمرًا ومن فيها خمرًا فالك في سكرين من بد
لى نشوتان ولاندمان واحدة شىء خصصت به من دونهم وحدى
فاذا كان شعره يدخل الى النفس بلا استئذان كما قال الجاحظ وكان
على ما وصفنا من المجون الفاسق والدعوة الى الشهوات المهلكة وكانت
نفوس الشبان فى كل عصر شديدة التأثر بما يجيئها من ناحية الشهوات
وكانت أفكار كثير من الباحثين مضطربة فى بعض المسائل الاعتقادية كان
شمر أبى نواس مدعاة الى الزلل فى الاعتقاد وسقوط النفس فى مهاوى
الهلكة بالفسوق

ومن أشهر قصائده فى المدح مدحة الخصيب وقد أنشده إياها بعد
أن أنشده الشعراء وقال أنها كمصاموسى تلقف ما يأفكون ومطلما
اجارة بيتنا أبوك فيور وميسور ما يرجى لديك عسير
وفىها يقول

تقول التى من بيتها خف مركبى عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للبنى مطلب بلى ان أسباب الفنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى فى أثرهن عير
ذوبنى أكثر حاسدك برحلة الى بلد فيه (الخصيب) أمير
اذالم تزارأرض (الخصيب) ركابنا فاي فتى يمد (الخصيب) تزور
ويقول فى آخرها

زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى وفي السلم يزهو منبر وسرير
 واني جدير اذ بقلتك بالني وانت بما أملت منك حدير
 فان تولي منك الجليل فأهله والا فاني غادر وشكور
 ومدحة العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ومطلعها
 أيها المنشاب من عفوه لست من ليلى ولا سمره
 لأذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
 وفيها يقول

فامض لاتمنن على يدك منك المعروف من كدره
 ومدحته لحمد الامين بن هرون الرشيد وقد كان عرفه أيام أبيه
 ولكنه ذهل عنه فأذكره به الفضل بن الربيع ووصفه له فلما أدخله اليه
 قام بين يديه منشدًا

يادار ما فعلت بك الايام صا لك والايام ليس تضام
 عرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللازمان عرام
 أيام لا أعشى لاهلك منزلا الا مراقبة على ظلام
 ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللوحيت اساموا
 وبلغت ما بلغ أمرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أنام
 وتجمشت بي هول كل تنوفة هو جاء فيها جرأة أقدام
 تذر المطي وراءها فكانها صف تقدم من وهي أمام

واذا المطى بنا بلغن محمدا
 قربنا من خير من وطىء الحما
 رفع الحجاب لنا فلاح لناظر
 ملك اذا علفت يداك بمحبته
 ملك أغر اذا شربت بوجهه
 فالهوى شتمل بيدر خلافة
 سبط البنان اذا احتبى بنجاده
 ان الذى يرضى الاله يهديه
 ملك اذا اعتلى الامور غشى به
 داوى به الله القلوب من العمى
 أصبحت يا بن زيدة ابنة جعفر
 فسلمت للامر الذى ترجى له
 وله مرات شهورة منها قوله فى الامين رحمه الله

يا أمين الله منى لاندى
 خلقتنا بعمدك نبي على
 وقوله يصف حاله ويسأل الله العفو عنه

أداني مع الاحياء حيا وأكثرى
 فألميت منى بمات ناهض
 على الدهر ميت قد تخرمه الدهر
 فبعضى لبعضى دون قبر البلى قبر

فيا رب قد أحسنت عودا وبداة الى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فمذري ان ارأى بان ليس لى عذر
ومن أشهر أهاجية قوله فى أشجع السلى
قل لمن يدعى سلما سفاها لست منها ولا علامة ظفر
انما أنت من سليم كواو ألحقت فى الهجاء ظلما بعمر و

(نوادره ومجونه)

قد نسب الناس الى أبى نواس كثيرا من المجون فى مجلس الرشيد
وخاصة نفسه من أهل بيته وجواريه وخدمه والذى رأيناه بعد البحث ان
الرجل كان فى نفسه ماجنا يظهر مجونه فى كلامه وشعره وكان لا يتحاشى ذلك
فى مجالسه مع أخصائه فنقل الناس من هذه الاحاديث التى كانت تصدر
منه فى مجالسهم وحر فوا نسبها وعزوها له فى مجلس الرشيد ليزيد الخبير
غرابة فى نفس السامع (وما آفة الاخبار الا روايتها) ثم زاد الناس فى
منادراتهم حكايات أخرى أسندوها اليه لشهرة المجون عنه وسهولة تصديقها
من مثله وغفل السامعون له عن مرتبة هرون فى التقوى والصلاح وأجد
ونسوا انه حبسه مرارا على الهفوات التى كانت تبالغ عنه فى غير مجلسه وكل
مارأته من ذلك مقطوع السند من الراوي الاخير

على ان أبى نواس كان متصلا بكثير من الامراء من آل العباس وغيرهم

فلم انحصرت نوادره واملحه ومجونه في الرشيد والسيدة زبيدة وجواري الخليفة.

نحن نعلم ان هرون كان يفضل أبا العتاهية على غيره من الشعراء حتى أبي نواس وفعل ان هلة ذلك انه كان يقول في الزهد والصلاح وان هرون كان يأنس به أكثر مما يأنس بسواه وانه كان يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة وكان يحج حاكاً وينزو حاكاً وكان ينظر في أمور الرعية جلجلها وصغيرها فهل كان مع كل هذا يضيع أوقاته في مثل هذا اللهو الذي يرفع عنه أوساط الناس وكثير من الدهماء هل كان الذي ربي المأمون على الجد وملاء شغفاً بالعلم وخزجه على مثل هذه الاخلاق يقطع وقته في المجون واللهو والشراب هذا مما لا تسمح به سنة الوجود ولا يتخيله الا من لا يتخيل صفة الخليفة اذ ذاك وهذه أشعار أبي نواس المتصلة السند ليس فيها ما يشير الى هزل وخلاعة في مجلس هرون ولا في مجلس الامين ونحن نعلم ان الرجل كان يجاهر بما يعمل ويقول ما يريد قوله بلا مبالاة . كل ذلك يدل على وضع الناس لهذه الاحاديث لانكاهة لتقبل طبع أبي نواس لها ولغرابتها اذا كانت في مجلس خليفة وكلما كان المجلس أهيب كان وقوعها فيه أغرب

(أبو الطيب المتنبي)

أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الشاعر الذي

هز يشعره الشعراء والعلماء والامراء وشغل أرباب الاقلام والسنة الاندية
من أوائل القرن الرابع حتى الآن

ولد بالسكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ثم سافر به أبوه الى بلاد
الشام فلم يزل ينقله من باديته الى حضرها ويسلمه الى المكاتب ويردده في
القبائل وكان يرى فيه كادراً لأصحاب الفراسة من وجوه عصره مخايل
النجابة فيزيده ذلك اقبالاً على تعليمه وتخريجه وتدريبه على مقارعة الابطال
بالسنان والفصحاء بالحجة حتى بلغ من الفصاحة والشجاعة فوق ما كان يطمع
اليه أبوه فلم يكديفرح به حتى حاجته منيته وترك ولده في ريعان الشباب
ومقبل حياته الجديدة فتطلعت نفسه الى الملك ودعا قوماً من الاحداث
الى بيئته فانمازوا اليه وأخذ سواده يكثر في البادية تتدارك الوالى أمره
قبل أن يستفحل وسير اليه من أخذ عليه طرفه فأخذه وسجنه وشرده عنه
أصحابه فبقى محبوساً لم يفتكه الا شفاعة شعره في القصيدة التي يقول
في مطلعها

أيا خدد الله وزد الخدود وشق قدود الحسان القدود

فمن أذن دما مقلى وأحرقن قلبي بنار الصدود

ومنها قوله في استعطاف الامير

أملك رقى ومن شأنه هبات اللجين وعنق المييد

دعوتك عند انقطاع الرجا والموت منى كهيل الوريد

دموتك المبارقي البلى وأوهن رجلى ثقل الحديد

ومنها

وكنت من الناس في محفل فما أنا في محفل من قروء

ولم يزل يقول الاشعار حتى خلى سبيله فرجع الى البادية وفي نفسه
حب الولاية والرئاسة والخروج على السلطان والاستظهار بالشمعمان
فكان يكثر من هذا المني في شعره كقوله

سأطلب حتى باقنا ومشايخي كأنهم من طولها التثموامره

وكقوله

فالموت أعذرني والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا ابن غلبا

وقد كان يتجشم المشاق في الاسفار النائية لعله تلوح له فرصة لادراكه
بغيته ولكن الاقدار لم تكن انؤانيد ور بماضاق العيش فرجع الى الشعر
يتكسب به ولم تكن جوائزهم عليه شيئا. إذ كوروا وكانت الحاجة تدفعه
الى تقبل ما ينجي حتى انه مدح على بن منصور الخاجب بمسيرته التي
يقول فيها

حالاً متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الى منها نائبا

فلم يعط الا ديناراً واحداً

ولكن فضل أبي الطيب وعلو سفره وأدب سيف الدولة بن حمدان

كل أولئك كان مدعاة الى اصطفا أبي الطيب في آل حمدان وعمادهم سيف الدولة فدرت عليه النعم وظهرت مكباته في مجالس سيف الدولة ظهور الشمس في رابعة النهار واخل كل نابه وكسف كل شارق حتى جرؤ أن يقول لسيف الدولة

أجزني اذا ألتشدت شعرا فأنما بشعري أنك المادحون مردوا
فدع كل صوت غير صوتي فأنني أنا الصائح المحكي والآ خر الصدا
وقد بلغت مكباته عنده أن يلبده وهو قاعد ولم يكن هذا لاحد
غيره وقد اتفق أنه كان يلبده — لكل امرئ من دهره ما تعودا —
فقال بعض الحاضرين يكيد له لو ألتشدتها فأنما لاسمع فان أكثر الناس
لا يسمعون فقال أبو الطيب أما سمعت أولها فاستحسن الناس منه جوابه
وشمو نفسه وقد كان اتصاله بسيف الدولة ستة سبع وثلاثين وثمانية وبقى
منه تسع سنين وهو بالخل الارفع الى أن وقع بين المتنبي وابن خالويه النحوي
كلام في مجلس الدولة فوثب ابن خالويه على المتنبي وضرب وجهه بفتحاح
كان معه فشجه ولم يدفع عنه سيف الدولة فخرج وودعه يسيل على ثيابه قاصدا
مصر وامتدح كافورا ليغيظ سيف الدولة وتقدم عنده حتى كان يقف بين
يديه وفي رجله خنق وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجين من
مماليك وهما بالسيوف والمناطق ولكنه لم يقنع بذلك بل طلب الولاية
ولكن كافورا خافه خصوصا اذا ولأه أن يغلبه على أمره فلم يولاه فجهاه

وفارة ليلة عيد العرس ستة خمسين وثلاثمائة وقد أرسل كافر في طلبه الى جهات
شقي فلم يدركه وقصد أبو الطيب بغداد فذمه شعراؤها فقصد عضد الدولة
ابن بويه الديلمي فمارس فأجزل صلته وقربه

ومن نوادره لما أنشد القصيدة النونية التي مطلعها — بخافي الشعب
طيبا في المناني — ووصل فيها الى قوله

وَأَتَى الشَّرْقَ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَائِرًا تَقَرُّ مِنَ الْبَنَانِ

قال له عضد الدولة لا تقرأها في يدك وقفل

وقد طلب الصاحب بن عباد أن يزوره بأصبهان ولم يكن قد استوزر
فأبى عليه ولم يقم له وزنا وقد كانت نفسه ترفعت عن مدح غير الملوك وهذا
كان السبب في طعن الصاحب بن عباد فيه خصوصا بعد أن تولى الوزارة
وقصده الشعراء فانهم أخذوا يلتقفون له المساوي كما كان الصاحب نفسه
يفعل . وقد كان سبب ذم شعراء بغداد له أنه لما قدمها ترفع عن مدح
المهملين الوزير فشق ذلك على المهملين وأغري به الشعراء حتى نالوا من عرضه
وتباروا في هجائه . ومنهم ابن الجعاج وابن سكرة والمهاشمي وآخرون
به وتنادروا عليه ولكنه لم يلو نفسه لم يجهنم بل قال حينما سئل عن ذلك اني
فرغت من اجاباتهم بقولي ان هم أرفع خليفة منهم

أرى التشاكرين غروا بذني ومن ذا يحمل الداء العضالا

ومن يلك ذا فم مر مريض يحسد مرا به الماء الزلالا

وقولي

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ٢ في الشهادة لي بأني كامل
وقد قام عليه أيضا شعراء البصرة خصوصا منهم أبا الحسين بن لشكك
وله فيه أهاج قبيحة ولكن أبا الطيب لم يكن يبالى بها لعلو مكانته
ومعرفة الناس أن ذاميه لا يريدون بذهمهم إلا إيذائه حسدا من عند
أنفسهم هذا وقد أحب أبو الطيب أن يرجع بلاده فأراد عضد الدولة أن
يبيع معه طائفة من الجند ليحفظه من أعاديه وتطاع الطريق فأبت عليه
شجاعته أن يتقبل الحرس فخرج مع ابنه محمد وغلame مفلح وبعض أصحابه
يريد بغداد ثم الكوفة في شعبان سنة ٣٥٤ فمرض له فأنك بن أبي الجهل
الأسدي في عدة من أصحابه فقاتلوا المتنبي ومن معه فما زال يتماثل هو
وولده وغلame حتى قتلوا بالقرب من الزمالة في موضع يقال له الضافية
من الجانب الغربي من سواد بغداد وقد عاش إحدى وخمسين سنة
أخلاق أبي الطيب — من مناقبه الشجاعة وهي أظهر صفة فيه فأنك
تراها وقد لازمت في جميع أطواره وحوادثه وظهرت في شعره ظهورا يبين
فأنه يصف الحروب ويهون تهاويلها على النفوس وينمت فضائلها ويسهل
أمر الحياة في طلب الطفر مثل قوله

ولو أن الحياة تبقى لحي

لعدونا أضلنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بد

فمن العجز أن تكون جباناً

وقد زاد في الافتتان في نمت المعامع وساقها على أسلوب التسيب
والفاظ التشبيب كقوله

أعلى الممالك ما ينى على الاسن والطعن عند محبين كالقبيل
فأما تدمحه بخلال الشجاعة فكثير في شعره ومنه قوله في مفتتح
أمره لأبي عبد الله ماذ بن كرماعيل حينما نهى عن التورط في أمر الدعوة
وحيازة الملك لنفسه

أبا عبد الله معاذ انى خفي عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسمي مطلبى وانى أخطر فيه بالمهج الجسم
أمنلى تأخذ النكبات منه ويمزع من ملاقة الحمام
واو برز الزمان الى شخصا لخصب شعر مفزقه حسامى
ومن أخلاقه بعد الهمة فقد كان على حظوته عند الامراء وتقدمه على
الشعراء ونزول الماوك عن أسرهم لاستماع شعره يرى ان ذلك دون
مطلبه وان نفسه العالية تصعد به الى عروش الملوك ويستقدان الزمان يحارب به في
حقه وانه لا يفتأ يدبر حتى يظفر بجعد السنان كما قال

سأطلب حتى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التهم امرؤ
ثم اذا طاوله زمانه وهو متبسط على الكرامة والنميم حتى غير أن يدرك
مزاىي همة يقول

ما ذرايت من الدنيا وأعجبه انى بما أنا بك منه محمود

ويقول لنفسه

ذري أنل مالا يتال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل
ومن أخلاقه اطمئنان نفسه عند المخاوف وتثبيتها على احتمال الشدائد
وانجاء نفسه اياه في المكاره يشير الى كل ذلك قوله

وأشجع مني كل يوم سلامتي وما تثبتت الا وفي نفسها أمر
تمست بالآفات حتي تركتها تقول أمات الموت أم دهر الذمر
دع النفس تاخذ وسمها قبل بينها ففترق جازان دارهما العمر
وعلى كل حال كان من خالق أبي الطيب الحرص على جلائل الاعمال
واستسهال الموت في سبيل الرفعة بل كان يتخطى ذلك الى استسهال المنية
في سبيل الغنى ومن ذلك قوله

اذا لم تجد ما يستر الفقر قاعدا فقم واجلب الشيء الذي يتر العمار
هما خلتان ثروة أو منية لعلك أنت تبقي بواحدة ذكرنا
وانما يريد بطلب الشيء الذي يتر العمار أن يعمل لمعالي الامور وان
ادى ذلك الى تر العمر حتى ينال ذكر احسن أو ثروة طائلة وكلاهما خير من الموت
في ذل الفقر

أما معانيه فمنها الكبر وهو الترفع عن النظراء واستحسان المرء فسل
نفسه دون غيره ولهذا كان اذا مدح سيف الدولة أنشده قاعدا ولم يكن
ذلك لجميع الشمراء كما أسلفنا بل كان من كبره وغلوه في مقدار نفسه أن يرى

مدحة الكبار من الامراء والرؤساء نعمة مشبه اليهم وانهم يحز عون لفراسه
لما يطوهم من قلائد الاحسان

ومن هذا قوله في سيف الدولة بعد أن ارتحل عنه
رحلت فكم بالك بأجفان شادن على وكم بالك بأجفان منيم
وما ربة الفرط المبيع مكانه بأجزع من رب الحسام المصم
وقد كان ممن يضرب بشحه المثل وهو من أحرص الناس على جمع
المسال وله في ذلك توادر شعره — قال ابن الاثير في المثل السائر (وأما
أبو الطيب فخطي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواقع
القتال وأنا أقول فيه قولاً لست فيه متاثماً ولا مثلاً وذلك انه اذا خاض في
وصف معركة كان اساه امضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت
أقواله للسماع مقام أفعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين
قد تواصلوا فطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تازكه)

وأما أنا فاني لأجد شعراً يشبه شعر أبي الطيب في مجموع صفاته
معنى ولفظاً وأسلوباً ودياجة وان كان له في كل شيء من ذلك شبهة على حدة
فاني وجدت شعره قائماً على دعائم الحكمة وأدلة الفلاسفة وأخيلة المقرين
وصناعة المؤلفين وبراعة المبدعين وأساليب المتفتنين وتساهيل المقترين
بمكائهم الذين لا يبالون أن يجمعوا بين الدرة والحضباء في سلك ويولعون
بالنقل ولو من الاحسن الى الحسن أو من الجيد الى الرديء في ألفاظ تدور

بين الأنس والفرابة والخفة والثقل والحضرية والحوشية ونظم قد يهزه
التعمل للمعاني الدقيقة فيضطرب حتى تترجخ كلماته عن مواضعها وتغني
صورة معناه على ناظره فيخبط في وصفها ويفسح المجال للاحتمال

هذا الى قلة المبالاة بالجري على المشهور في اللغة لانه كان يتبع رؤية
ورؤية صاحب غريب في الالفاظ والاعاريب ومن أجل هذا اختلف النحاة
في تخطيطه وتصويبه وانا لنجد في شعره من المساويء ما لو كان في شعر
غيره لجله مخزاة من المخازي ولكن كثرة الحسنات فيه تذهب بسيئاته
فان كثرة الأمثال السائرة فيه والمعاني المبتدعة والحكم البالغة وكسوة
القديم ثياب الجديد والتعرف فيه حتى يحسب طريقا كل ذلك قد عطي وجهه
كثير من المايب وكاد ينسى المساوي

وقد اعنى العلماء والادباء بشعره — قال ابن خلكان قال لي أحد
الشايع الذين أخذت عنهم وقفت لديوان أبي الطيب على أكثر من أربعين
شرحا ما بين مخطولات ومختصرات وقد قرأ ابن حني ديوان أبي الطيب عليه
وشرحه في ثلاث مجلدات

وأما من كتب في شعره فانا لانكاد نحصى أقلامهم ولكن اشهرهم
صاحب الوساطة ابو الحسن على بن عبد العزيز الشهير بآية الخى الجرجاني
المتوفى سنة ٣٦٦

وهذا الكتاب خير ما كتب في بيان درجة المتنبي وتمحيص آراء

خصومه وتقدمها تقدماً صحيحاً على طريقة الانصاف . ومن كتب فيه
وأطال ووفى أبو منصور الثعالبي في الجزء الاول من اللينة وصاحب الصبح
المتين من حيثية المتنبي ومن غرر قصائده قصيدته البائية التي أنشدها السيف
الدولة بعد تجزو بني كلاب وإيقاعه بالرجال وإبقائه على الحريم يستعظمه
ويذكره بعفواً به عنهم

بغيرك راحيا عبث الذئاب	وبغيرك ضارماً ذلم الضراب
وتملك أنفاس الثقلين طراً	فكيف تجوز أنفسها كلاب
وما تركوك مصيبة ولكن	يعاف الورد والموت الشراب
طلبتهم وعلى الامم واه حتى	تخوف أن تفتشه السحاب
فبست ايايها لانوم فيها	تخب بك المسومة المراب
بهز الجيش حرلك جانبيه	كما تفضت جناحيها القباب
وتسأل عنهم الفارات حتى	أجابك بعضها وهم الجواب
فقاتل عن حريمهم وفروا	ندى كفيك والنسب القراب
وحفظك فيهمو سلفي مدد	ونهم العشائر والمصحاب
تكفكف عنهم وصم الموالي	وقد شرقت بظعنهم الشعاب
وأسقطت الاجنة في الولايا	وأجهفت الموائل والارباب
وعسروني بيا نهم عمود	وكعب في مياهم كعاب

ومنها

وكيف يتم بأسك في أناس	نصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق أيها السولى عليهم	فان الرفيق بالجانى عقاب
فلهمو عييدك حيث كانوا	اذ تدعو لحادثة أجاورا
وعين الخفطين همو وابسو	ياول معشر نخطشوا فتاورا
وانت حياتهم غضبت عليهم	وهجر حياتهم لهمو عقاب
وما جهلت أيلديك البوادي	ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب مولده دلال	وكم ليضل ^{بعد} مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم	وحل بغير جازمه العذاب

ومنها

ريتهمو بيجر من حديد	له في البر خلفهمو عياب
فساهم وبسطهمو حرير	وصرحهم وبسطهمو تراب
وسن في كفهم منهم قناة	كمن في كفهم منهم خضاب
بنو قتلى أليك بارض نجد	ومن أبقي وأبقته الحراب
عفاءهم وأعتهم صغارا	وفي اعتاقاً كثرهم سخاب
وكلكموا أنى ما أتى إليه	وكل فبال كلكموا عجاب

ومن قصائده المشهورة قصيدته التي مطلعها

الرأى قيل شجاعة الشجمان هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
ومنها

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أذى إلى شرف من الإنسان
وقصيدة التي مدح بها كافورا ومطلقها
أغالب فيك الشوق والشوق أغاب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
ومنها

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفس على مقدار كفيك نطلب
إذا لم تنط في ضيعة أو ولاية تجودك يكسوني وشغاك يسلب
ومنها

وكل امرئ يولى الجليل محب وكل مكان ينبت العز طيب

الشعر من سنة ٦٥٦ إلى سنة ١٢٢٠ هـ

لما وهى بناء الدولة العربية أخذ الشعر يضمحل منها ويتبدل أينما
بميراث وكلما تلاوت لها الأيام تلونت فأخذ المخلصون للشعر يقولون
ولما يحيدون وعزت ملكة الشعر الجيدة في الشراء وأحلوا عليها ضروبا
من الصناعات اللفظية المتكافئة والأفانين المخترعة كتطريز أسماء الممدوحين
والتزام حرف واحد في أول أبيات القصيدة وفي آخرها كما فعل صفي الدين

الحلى في الارتقيات وكأنشاء المزدوجات كما فعل قويدر الحنبلى والشيخ قاسم
ومصطفى أسعد وغيرهما وكأنشاء قصيدة عاطلة وأخرى حالية أى مجمعة
كما فعل الحريرى من متقدمى المخترعين وابن عربشاه من متأخرهم مثل
قوله فى العطل

العلم العلم الامام لدي العلا العال الحكم المهام الاوحد

وكجمله حروف المهجاء فى بيت واحد وهو قوله

خض بحر لفظ حديثه تفش العلا واجزم لصدقك ناطقا اذ اسند

ومن بدعهم الشبهة فى الشعر الانماذ التى يلتوا بها بطون الدواوين
وهى من اردأ الشعر وأجفده وكذلك التواريخ وهى حساب بيت أو نصف
بيت بالجلل يوافق عدده عدد السنة التى بنى فيها البيت أو ولد فيها المولود
أو أقيم المرس الى غير ذلك ولقد غالى بعضهم فجعل القصيدة كلها تواريخ
فجاءت غثة باردة ليس فيها كبير معنى ولا رقيق مبنى ولقد ظهر الفساد فى الشعر
ظهورا يئنا حينما جريه العلماء أو عية لائنون ومخزنا للمسائل النحوية
والفقرية ونظموا فيها مصطلحاتهم وتصرفوا فيه تصرفا سيئا ومشوا فى
صحة لفظه على الوجوه الضعيفة وتوسدوا فى الضرورة الى حد لا يطاق
كقول القاتنى

فاهل بدر العظيم الشأن فاهل حد فيبغة الرضوان

فانه غير العلم وجعله حدا بعدان كان (أحدا) وغير غيره جدا الرحمن

بإبد الرحمن ولم يبال كثيراً منهم باللعن الفاضح : هذا كلام ابن حجر
المسقلاني في طائفة ديوانه الذي جعله سبعة أنواع في كل نوع سبعة أشياء
وفتحه كما قال بالنبويات ثم الملوكيات ثم الاخوانيات ثم التزليات ثم الافراض
المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطع . فقد جاء في مطلع قصيدة يمدح بها
النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر ختمه صحيح البخاري في شهر رمضان
سنة ٧٩٨ هـ

لو أن عزالي لوجهك أسلموا رأيت أني في الهبة أسلم
كيف السبيل لكم أسرار الهوى ولسان دمي بالترام يترجم
لأم المواذل كل صاد للقا وملاهم عن الخطا ويطهروا
لا يعلموا أين الهوى لكمهم لاموا عليه لانهم لم يفهموا
فانظر اليه وقد حذف النون بغير جازم في الموصمين ولم يبال بذلك
ولو سئل فيما أظن لقان ان ذلك جائز بدليل قول الشاعر
أيت أمي وتبيت تدلكي شعرك بالعنبر والمسك الرمي
ولو قال له قائل ان هذا انصح لا يقاس عليه فانه لا يعدم ان يلجأ الى
باب الضرورة وهو مفتوح لكل واحد منهم فكيف يسهل على
الشعر ان يحمل على ظهوره كل هذه المثون وهذه الضروريات
ولا ينوء به
علي أنه لو وقف به الزمان عند هذا الحد لرجونا ان يمشي السليم

منه في ناحية أخرى غير نواحي كتب الفقه والتوحيد والقواعد الذنوية والصرفية ولكنه دهمه التصرف من ناحية التزليات والخرجات فتصرف المتصرف من الشعراء تصرفاً أخلف ديباجته بل أحال لغته .

هذا ديوان نحسي الدين ابن العربي لوأحيائه صاحب الفاهوس ما فهمه على علمه باللغة وهذا ديوان ابن الفارض إذا جريئاً في شرحه على كلام من شرحه من الصوفية فانا لا نجد معاني ألفاظه مما وضعتها العرب لها ولا أطيل بذلك ديوان الصوفية وخروجهم بالشعر ومعانيه عن مناحي العرب فان أمرهم في ذلك أظهر من أن يذكر .

ومما جاء ضمناً على إبانة البديعيات قائلها كادت تزهر بروحه لعدم القصص منها إلى المعنى وتوجه نفس القارئ والناظم إلى ملح أنواع البديع من جوانب النظم وقد كثرت الشعراء منها وتنافسوا فيها حتى كثرت وهانت ثم هجرت غير مأسوف عليها .

وأما غير هؤلاء من الشعراء فقد أكثروا من المبالغات والخيالات وتوسعوا في باب النزول الفاحش والتصریح بالمنكر بلا خجل ولا حياء فجنوا بذلك على الادب وحلوا الصالحين على ترك الشعر وصرف الناس عن الاشتغال به حتى كان من ذلك انصراف كثير من أهل القرائح الوقادة عنه . وقد أدركت العلماء في عصرنا وهم يعيرون المشتغل به ويتهمون به بالجهالة ولذلك لم ينبغ في الشعر نابغ منهم

ومن أعايب الزمان ان يبقى بمدكل هذا شعراء عجبون كابن
حنين وزيري غالب والحاجري وابن نباتة المصري والهازمي وان
تسكون لهم قدرة على الارتجال الجيد كما وقع لابن عتيق وقد كان جالساً
عند فخر الدين الرازي وهو في درسه نحو ازم في يوم شديد البرد والتج
واذا بحمامة طائفة يتبعها جارح فسقطت عليه واختفت تحت ثيابه فقال
بديها في ذلك

يا ابن الكرام المطعين اذ اشتوا	في كل خمصة وثليح خاشع
من نأ الورقاء ان عليكم	حرم واثك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تداني حنفا	خبوتها ببقائها المستأنف
ولوانها تجبي بمال لا تثقت	من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان لشجوها	والموت يلعب من جناحي خاطف
فرم لواه الخوف حتى ظله	بازائه يحسرى بقباب خائف

وسند كتر ترجمة ابن النبيه المصري وصفى الدين الحلي

ابن النبيه المصري

هو كمال الدين علي بن محمد المعروف بابن النبيه الشاعر الناصر كاتب

الملك الأشرف وشاعره

نشأ هذا الشاعر وتعلم الأدب وبرع في الكتابة والشعر وما زال يقدمه جده إلى أن وصل إلى الملك الأشرف فدحه بمصائد حجة ومدح الخلفاء والأمراء وكان يتغالي في مدح الترك ولا يبالي إذا لمع المعنى اللطيف أن يقوله ولو كان لا يلائم عقيدة الموحدين فكان ذلك مثارا للخوض فيه من معاصريه . فمن الأول قوله في طالع قصيدة يمدح بها الأشرف

الله أكبر ليس الحسن في العرب كم تحت لمة ذا التركي من عجب
فقد كفره بعض الخفية بهذا البيت لتفيه الحسن عن العرب مع أن
الذي صلى الله عليه وسلم منهم ولهذا أخذ الناس برويته كل الحسن بدل
ليس الحسن مع أن روايتهم لا تستقيم مع آخر البيت

ورأيت في هذا البيت أنه ليس فيه كبير معنى ولا عمل الغس الشاعر وأن مثل هذا مما يجري على ألسنة الناس وليس فيه معنى شعري خيالي جميل ثم هو من المذمومين بالمبالغة بلا مبالاة ولا احتراص ولو فطن ابن التنبية إلى أن الجهل من الأور المختلفة باختلاف الأذواق والمعادن وأن ما يكون جميلا عند قوم قد يكون قبيحا عند آخرين لما رمى بهذه الكلمة على هذه الصورة

ومن الثاني قوله في طالع مدح له

رنا واثني كالسيف والصعدة السمرا فما أكثر القتلى وما أوحش الأبرى

خذوا حذرکم من خارجی عذاره فقد جاء زحفا في كتيبه الخضر
غلام أراد الله أطفاء فتنة يعارضه فاستؤنفت فتنة أخرى
فان التمليح الذي أراد جره الى الشفاعة بأنه نسب الى الله انه أراد
اطفاء الفتنة وصرف الأنظار عن الجمال الفاتك فأثبت عارضه لذلك
بجاء الامر على غير ما يريد الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا

وعندي ان هذا لا يصدر الا من رقة في الدين تكون عند الذين
يفرطون في الهوى وذلك مما يترفع عنه المؤمنون ولما أخذ على هذا أشد
من المأخذة على الاول ولو كفره بعض الخفية بهذا لكان لكلامه
وجه ظاهر

وقد كان عهدنا بالشعراء السابقين أن يسدهوا قصائدكم بالانزل في
المؤث ولكنهم في هذا العهد حولوه صراحة الى المذكر مجازاة لأذواق
ممدوحهم ولقد كان أبو نواس أسبق الى هذا ولكنه لم يكن ليجعل فاتحة
قصائده في مدح الخلفاء والامراء مثل هذه الفاتحة بل كان يقول ذلك
في غزله هو ومجونه لافي الحشد ومنازل الملوك لاستهجان هذا جد
الاستهجان في ذلك الزمان أما كونه مستهينا بأمر الذنوب ميسرا للمعاصي
فظاهر في كثير من شعره مثل قوله في القصيدة التي مطلعها
يا كرمي وحيك أهنا العيش يا كرمي فقد ترنم فوق الأيك ظائره

واجسر على فرص الذات محتمرا عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصره
وتقابل أن يقول ان الذي جره الى هذا انما هو الخلفاء الذي اراده
والمبالغة في مدح الخليفة ولكن لا يفوتنا على كل حال انه يأمر بالذات
واحتمار الذنوب ويجوّل الناس على شفاعته الخليفة لهم في الدار الآخرة وما
يدرهم لعل الخليفة يحتاج الى شفعاء حتى يزحزحوه قليلا عن النار وقد جرى
كثير من الشعراء هذا المجرى وأشهرهم فيه ابن الفارض في مثل قوله
تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا وخل سبيل التامكين وان جلوا
وقد ساعدتم على ذلك غلبة العقائد الباطنية من رفع التكليف عن
قوم وصلوا الى درجة في طريقهم ولكن ابن الفارض رحمه الله لم يكن
منهم وان تسربت عقائدهم الى شعره ولذا كانوا يتأولون كلامه فاذا عز عليهم
ذلك قالوا انه قاله في مقام الشطح وهو معذور فيه لانه ما خوذ غير مكلف
فأما ابن التبيه فلم يكن من هذا القبيل بل كان يصرح بما ينافي التأويل
ولا يجب أن يحمل كلامه على غير ظاهره كما قال

لا في العذيب ولا في بارق غزلى بل في لى فيه أو ثغره الشنب
نفر اذا ما الدجى ولى تنفس عن زيج من الراح أو ضرب من الضرب
وخلاصة القول انه شاعر رقيق اللفظ رقيق الدين متين العبارة بديع
الصنعة لا يتكلف حتى يسخف ولا يمتن حتى يستغلق يجرى على طريقة من

سبقة في الافتتاح بالنزل والتخلص الى المدح وقلا يبدأ بنزل المؤث . لم أر
له ذلك الا في قصيدتين وما عداها فزل في مذكرو هو من أبرع الناس غاالص
فن ذلك قوله في صفة الخروفيه المخلص

حمرأ تفعل بالألباب ما فعلت سيوف شاة أرمن في عسكر لب
وقوله

يا طالب الرزق ان سدت مذاهبه قل يا أبا الفتح يا مومي وقد فتحت
وقوله

بتنا وقدلف العناق جسوننا في بردين تكرم وتغف
حتى بدا فاق الصباح بمحفل أعلامه رمك المليك الاشرف
ملك يياض يمينه لسبيه مومي ومنظره البديع ليوسف

والحق ان الرجل شاعر متفنن قليل السقط متقارب الشعر وهو الى
شعر النكتاب أقرب منه الى شعر الشعراء لان لشعر النكتاب مسحه
من السهولة والوضوح وتخير الكلمات الدائرة والمعاني السائرة مالا يكاد
يتفق كله لشعر الشعراء ولتقتطف منه شيئا يدل على ما وصفنا . فن شعره
المشهور في رثاء علي بن الخليفة الناصر احمد أمير المؤمنين وهو من جيد كلامه
وله فيه خيال بديع

الناس للموت كخيل الطراد قالسابق السابق منه الجواد
والله لا يدعو الى داره الا من استعصم من ذى العباد

واللهم تقاد على كفه
والمرء كالظل ولا بد أن
لا تصلح الأرواح إلا إذا
أرغمت ياموت أنوف القنا
إلى أن يقول

دفنت في التراب ولو أنصفوا
إلى أن يقول

خليفة الله اصطبروا احتسب
أنت سماء أطلمت زهرها
وأنت لج البحر ماضره
ومن غزله أنقص قوله في طالع قصيدة يمدح فيها موسى الأشرف
من سحر عينيك الأمان الأمان
أسمر كالرمح له مقلة
أهيف عبل الردف حلوا للمي
يزداد إذا شكوا له قدوة
ساق شهارضوان عن حفة ظه
إلى أن يقول

بخذة أو طرفه أو جنى
لماء سكري لا يثبت الدنان

يلائمني دعنى فاقى فنى
لاتسأل العاشق عن حاله
لولا دموى والفضا لم أبح
أعزنى هوى ولولا هوى
وقالنى التذكر من مطلع قصيدة

يا بارقا أذكر الحشا شجته
أمرتع الهمو يانع خضر
يا برق هاجسى يذوب منى
أبرق أشكو عساك تخبرم
بلغ حديث الجى وساكنه
اسمه ذكر الحبيب مقتربا
هم آسوه لكن بوحشتهم
أشقى الحين مادم وطرا
منزلنا بالعقيق من سكنه
أم غير الدهر بعد ناد منه
وهجى بالعقيق مرتنة
وكل من هام يشكى شجته
لمنزم انحل الهوى بدنه
فقد أصمت عذاله أذنه
وتفروا عن جفونه وسنه
فكيف ان كان عادما وطنه

وقال يمدح القاضى الفاضل مقتبسا من سورة المزمل
قت ليل العندود الا قليلا
ووصلت السهاد أفتح وصل
مسمى كل عن كلام عذول
وقو ادى قد كان بين ضلوعى
ثم رقت ذكركم توتىلا
وهجرت الرقاد هجرا جيلا
حينما ألقى عليه مولا ثقىلا
أخذته الاحباب أخذاء ويلا

تحمل لراقى الجفون ان لعيني في بحار الدموع سبعا طويلا
 ماس عجبا كانه مارأى غصنا رطيبا ولا كثيبا مهيلا
 وهي عن حبه كاس نقر حين أضفى مزاجها زنجيلا
 بان عني فصحت في أثر الغيس ارحموني ومهلوم قليلا
 أنا عبد للفاضل بن علي قد تبثت بالثنا تبديلا
 لانسمة وعيدا بغير نوال انه كان وعده مفعولا
 واذا كان خصمك الدهر والحكم الى الله فاتخذة وكيلا
 راع أعداده بصغر البراءة ت فأنسى صريرهن الصليلا
 ان مدحى له أشد وطاء وقريضى أقوي وأقوم قيلا
 فاستمع لفظه ولد بحماه تلق قولاً جزلاً ونبيلاً جزيلاً
 جل عن سائر الخلائق فضلاً فاخترعنا في مدحه التزيلاً

هذا وله موشحات ودونيت ورجز وهو ليس فيها من كبار المحسنين
 وأما غزلياته فكثيرة وهو فيها حسن في جلتها الا ان معانيه مأخوذة من
 المتقدمين وله فيها التصرف الحسن وربما جاء بشيء نادر من المعنى البديع
 وقد سكن آخر حياته نصيبين وتوفي بها في ٢١ جمادى الاولى سنة ٦١٩ هـ

(صفي الدين الحلي)

هو عبد العزيز بن سرايا المعروف بصفي الدين الحلي الطائفي الشاعر

المبدع المنفرد ولد بالعراق سنة ٦٧٧ هـ في بلد يقال له الجلة (حطة بابل) وكان أخواله من الصبور العظيم منهم جلال الدين بن عحاسن وصفي الدين ابن عحاسن وكان بيت أبيه لا يقل عن بيت أخواله شرفاً فاشأ صفي الدين فأكبها في النعمة متبسطاً على المزاج بالشر حنظلاً ونظماً فخوراً بشجاعته وحسبه فجاء في ميدانين من الشعر والحرب فحلى فيهما على الاقتران وطاز صيته بين الأدياء والشجعان وأنف أن يمدح الأكاير لمصلاتهم وقصر مدحه على آله ووصف حروبهم ومآثرهم ولم يغفم إلى ذلك إلا مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم لم يلبث أن شبت في العراق نين وحروب أدارت رحاها على قوم فأبلى فيها بلاء حسناً ووصفها في أشعاره وصفها دقيقاً ما زال يجلد ويحرض بسيفه ولسانه حتى صار أصحابه فريقاً في الآسار وفريقاً في أنياب المنون فلبس جلباب الليل ومضي على وجهه ليدرك آثار قومه إلى أن نزل على الملك المنصور أحمد ملوك بني أرتق بماديين وديار بكر غفل عنه خلا كريماً وصان المنصور دمه ووجهه فقيده هناك نعم للمنصور والصلاح فابتدع في مدحهما مدائح من الشعر لم يسبق إليها وقصر مدحه عليهما فمن ذلك الأرقيات التي سماها درر النحور في مدح الملك المنصور وجعلها ديواناً خاصاً وهي تسع وعشرون قصيدة كل منها تسعة وعشرون بيتاً وكل واحدة على حرف من التسعة والعشرين وقد التزم أن يكون الحرف أول البيت وآخره وكلها غزل رقيق ومدح جيد . ثم سافر بعد إلى الطبرستان وكان

سلطانها الملك الناصر محمد بن قلاوون فأكرم وفادته ونال من الحظوة فوق ما يرتقب فقال فيه وفي وصف عباله الخاصة شيئا كثيرا وتقنن في الجناس ولزوم مالا يلزم والتخمين والتضمين والموشحات والمزدوجات والمعارضات حتى أجمع أهل الأقطار على أنه واحد العصر بلا منازع وقد جمع ديوانه وجمعه باسم ملك مصر وأهداه اليه . هذا وقد كان يحسن الى وطنه ويزيده حينئذ كتب من بقي من أهله اليه فارتحل بالكرامة الى الشام ثم الى بلده وبقى يرأس الملوك والمعلماء حتى آخر حياته سنة ٧٥٠ ومن شعره في صباه يفخر بقومه وأخدمه بأثر خاله من آل أبي الفضل

سلى الرماح الموالى عن معالينا واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا
وسألى العرب والأتراك ما فعلت بأرض قبر عبيد الله أيدينا
وهى طويلة . وقال فى تلك الواقعة يصف حاله

لمن الشواذب كالنعام الحفل	كسيت جلالا من غبار القسطل
يرزن فى حلل المجاج عرايبا	يحملن كل مدرع ومسر بل
شبه العرائس تجللى فكأنها	فى الخلد من ذيل المجاج المسبل
فعلت قوائمهن عند طرادها	فعل العواالج فى كرات الجمل
فتظل ترقم فى الصخور أهلة	بشبا حوافرها وان لم تنل
يحملن من آل القريض فوارسا	كالاسد فى أجم الرماح الذبل
تنثال حول مدرع بجناحه	فكأنه من بأسه فى معقل

وله البدييات المشهورة التي أولها

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم وأقرأ السلام على عرب بنى سلم
وهي مائة وخمسة وأربعون بيتا تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعا
من محاسن البديع وقد عارض الحريري وهو في الثالثة والمشرين من عمره
بمقامه كلها من جنس (زيفت زينب بقديقد) وهي لا تكاد تفهم إلا بشق
الانفس ومن ارتقيانه قوله في طائفة أولها

أبت الوصال مخافة الرقباء	وأنتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود وودة	وكذا الدواء يكون بعد الداء
أحييت بزورها النفوس وطالما	ضمنت بها قفصت على الأحياء
أمت بلبيل والنجوم كأنها	درر يباطن خيمة زرقاء
أمنت تعاطيني للدام وبيننا	عشب غنيت به عن الصهباء
أبكي وأشكو ما بقيت تتلني	من در أنفاظي بدر بكائي
أبت إلى جمدى انتظر ما انتهت	من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراءها	جزعا وما نظرت جراح حشائي
أمصية منا بنبل لحاظها	ما أخطأته أسنة الأعداء
وقال يجرض قومه على اللؤلؤ	من قصيدة طويلة هذا صدرها
لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا	ولا ينال الملا من قدم الحذرا
ومن أراد الملا عفا بلا تعب	فغني ولم يقض من ادراكها وطرا
لا بد للشهد من نحل يمنعه	لا يمتني النفع من لم يجعل الضررا
لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلة	ولا يتم التي إلا لمن صبرا
وأحزم الناس من لومات من ظما	لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

وأغرز الناس عقلامن اذا نظرت عيناه أمرا غدا بالغير معتبرا
 فقد يقال عثار الرجل ان عثرت ولا يقال عثار الرأى ان عثرا
 وقال يمدح سلطان مصر ابن فلالون عند فتح الخليج ويصف ما حوله
 بقصيدة منها

خلع الربيع على غصون البان حلا فواضلها على السكتبان
 ونمت فروع الدوح حتى صاحفت كفل الكتيب ذوائب الاغصان
 وتوجت هام الغصون وضربت خد الرياض شقائق النيمان
 وتنوعت بسط الرياض فزهرها متباين الاشكال والالوان
 من أبيض يقق وأصفر فاقع أو أزرق صاف وأحمر قان

الشعر والشعراء

لم تكن للشعر سوق رائجة في عهد محمد على الى عهد اسماعيل لقلة اقبال
 الامراء عليه وتسلط اللغة التركية في المجالس العالية وعدم فهم الحكماء
 اللغة العربية العامة فضلا عن آدابها - ولهذا فان الشعر يدور بين فئة
 قليلة لا تكاد تتعدى الذين ظنوه وسيلة الى الرقي قياسا على الازمان الماضية
 فأخطئوا القياس أو الذين يحبون الأدب استظرافا له والذين اتخذوه ملهاة
 كما تنهى الناس اليوم بالاقتصار وقد انصرف عنه أكثر العلماء والصلحاء
 وأرباب الذولة أما الاولون فسدوه من اللهو وذموا من يشتغل به وحسبوه
 حائفا عن العلم وأما الآخرون فلم يهتم اليه لان التقدم في أعمال
 الحكومة باللسان التركي وأما الصلاح فلا اعتقادهم أنه من وساوس الشيطان
 بل كانت اللغة العربية مضطهدة في عهد عباس الأول الى حد أن من تكلم

بها من طلبة المدارس الحربية توضع في فيه العقلة التي توضع في فم الحمار حينما يقص ويثقي كذلك نهارة كاملا عقوبة له على تحريك لسانه بلغة القرآن العزيز أثناء فسحته كما حدث بذلك الثقات الكثيرون ولذلك لم ينبغ في تلك العصور نابغ في الشعر

فلما جاء عهد اسماعيل وامتدت آماله في التتبع ورأى الذين هم عونهم على ما يريد انما هم العرب أخذ يترهبهم ويقرب أدياءهم ويتقبل مدائحهم ويحجزهم عليها وفتح المدارس وعلم فيها اللغة العربية ونشط طالبيها ولهذا سارع الناس الى العلم والأدب وفتحت لهم فيه قرائح لم تكن من قبل فظهر صفوت والسيد على أبو النصر والسيد على الليثي ومحمود باشا ساي البارودي ثم كثروا في عهد توفيق وعباس الثاني وبرعوا حتى صار كثير منهم يضاهي المتقدمين مثانة وصحة فكان منهم شوقي وحافظ واسماعيل صبري باشا وأحمد محرم وعدد كثير لا ينفسح وقتنا لسرد اسمائهم - وقد اتدل الشعر بالبارودي قلة يغبطه عليها كثير من المتقدمين فقد نسج له دياجعة بديسة مثل قطرة العربي السليقي في مدينة العصر الحاضر وحمل عشاق الأدب على طارقتة فجروا فيها شوطا بعيدا

أما أشهر من كان في زمن أفول الشعر من عهد محمد علي فالشيخ الخشاب والشيخ المطار وقد كانا صديقين يستعيد كل منهما كلام صاحبه

السيد على الليثي

هو الأديب الطريف الذي جمع بين الفساحة والجلال وله ديوان وقوفي أبوه وهو صغير فانتقلت به أمه الى جهة الامام الليث بن سعد وهناك

بالإي وكان كثيرا ما يجذب فاعتقده كثير من الناس وقد ذاع علمه وفضله وعرفه عباس الاول ورتب له المرتبات فلما ولي اسماعيل وكان يعرف ظرف الاستاذ ومكانته العلمية والادبية أدناه منه حتى كان سميره في خلوته وجلوته وقد سافر معه الى الاستانة فكان محل الكرامة والاحلال ثم سافر مع حسين باشا البرنس الى أوروبا وزار فينا وغيرها وخطب في مدرسة اللغات التركية خطبة فراء وأنشد فيها قصيدة فيحاء ولم يزل يحترما معظما عند اسماعيل باشا الى أن جاء توفيق فتال من الخطوة عنده ماناله على عهد أبيه ولما حدثت الفتنة كان الاستاذ وسطا يرجع اليه المختلفون ويتلاقى عنده المتنازعون فلم تنحط مكانته عند الخديوي ولم تسقط منزلته عند الثائرين ومع ما كان فيه الخديوي من شدة الغضب والنزوع الى الانتقام من الثائرين كان أول قول قاله الاستاذ له أن نصحه بالعفو ثم أنشأ القصيدة المشهورة التي مطلعها

كل شيء لضده يتحول فالزم الصبر اذ عليه المول
فنطق الاستاذ حيث كان غاية الخير وفضل عند غيره أن يسكت
وصب الماء على نيران الغضب المتقدة فأطفأها - وقد بقي في عهد عباس
على ما كان في أيام أبيه قبلة الادباء وعط رحال الفضلاء ذوى العلم والجاه
الى أن جاء داعي زبه سنة ١٣١٣ هـ

(شعره وآدابه ومحاضراته)

إذا لم يكن شاعرا مقلدا فانه كان رقيقا فكها ساحرا في محاضراته
وعلمه يقول ما يحمل في عين زمانه ويحلو في ذوق معاصريه وقد كان حاضر

ولا يترفع عنه وقزروا لقد كان شعره يملو بملوه ويظرف بظرفه ويسيره في
الناس ذكره كما قال علي بن الجهم

وما أنا بمن سار بالشعر ذكره ولكن أشعاري يسيرها ذكره
فمن ذلك أنه قال نصيدته النونية في حلوان أيام غياث توفيق باشا بها
وكان مطلعها

ترعى الأطباء وترعى الاسد في آن نبت الخزامى مكافئ سفح حلوان
فلم يبق نادر ولا سمر ولا فرد ولا جماعة ولا سوق ولا ملك في مصر
ممن بلغهم شعره الا وهو يترنم بهذا اللطع - وقال يصف وردة أهداها
اليه سلطان زنجبار وسأله وصفها

أهدي ابن أحمد وردة لي قائلا صفها فانك واحد العشاق
فأجبت هذى خدود نوام قد أتقنتها صنعة الخلاق
ان لم يكن في زنجبار مثلاً فيها النعي ومحاسن الاخلاق

(محمود سامي باشا البارودي)

هو محمود سامي ابن حسن حسنى بك البارودي ينتهي نسبه الى
نوروز الانابكي للملكي الاشرفى والبارودي نسبة الى ايتاى البارود وكان
أحد أجداده ملتزماً لها فنسب اليها

ولد في رجب سنة ١٢٥٥ للهجرة ولما كان في السابعة من عمره توفى
والده فلما بلغ العشرين رثاه بقوله

لا فارس اليوم يحمى السرح بالوادي طاح الردى بشهاب الحرب والنادى
مات الذى تهرب الاغول من حيلته ويتقى بأسه الضرغامه المادى

فان أكن عشت فردا بين آصرتى فها أنا اليوم فرد بين أندادى
 وكان فى شببته ميالا الى الادب والشعر فاشتغل بأدب اللغة العربية
 وفنونها فأحسن منها شيئا كثيرا - قال أستاذه الشيخ حسين الموصفى فى
 الوسيلة الادبية عنه

لم يقرأ كتابا فى فن من فنون العربية غير انه لما بلغ سن الثمقل وجد
 من نفسه ميلا الى قراءة الشعر وعمله فكان يستمع بعض من له دراية وهو
 يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرة حتى تصور فى برهة يسيرة هيات
 التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات فصار يقرأ ولا يكاد
 يلحن ثم استقل بقراءة دواوين مشهورى الشعراء حتى حفظ الكثير منها
 واستثبت جميع معانيها ثم جاء من صناعته بالشعر اللائق بالامراء ولشعر
 الامراء كأبى نواس والشرىف الرضى والطغرائى تميز عن شعر الشعراء
 وكان يجيد التركية والفارسية ودخل المدارس الحربية فى عهد عباس
 الاول وخرج منها فى عهد سعيد وتقلب فى المناصب الادارية والحربية
 فى عهد اسماعيل الى أن عين ناظرا للحربية فى عهد توفيق ثم استقال منها
 لاسباب ترتبط بالثورة العربية - ولما حوكم رجال الثورة حكم عليه
 بالنفى الى جزيرة سيلان فبقى هنالك سبعة عشر عاما تعلم فيها الانجليزية
 وعرب كتبها كثيرة ونظم قصائد عدة كان منها ميمته المسماة كشف
 الغمة فى مدح سيد الامة يعارض بها البوصيرى ومما قال فيها يتشوق الى
 بلاد الحجاز

ادعوا الى الدار بالسقيا وبى ظلما أحق بالرى لسكنى أخو كرم
 منازل لهواها بين جانحتى وديمة سرها لم يتصل بفهم

وله من قصيدة قالها في شكوى الزمان في جزيرة سيلان

عجايب ما أبقت عيون لها منى فثبت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة ألا شدا ألقاه في الدهر من غبن
فان أك فارقت الديار فلي بها فؤاد أصلته عيون لها عني
وما كنت جريت النوى قبل هذه فلما دهنتي كدت أفضي من الحزن
فيقلب صبراً ان جزعت فربما جرت سنحاً طير الحوادث باليمن
فقد تورق الاغصان بعد ذبولها ويسدو ضياء البدر في ظلمة الوهن
وفي عام سنة ١٣١٧ هـ سبقت اليه البشارة بالغفو عنه فرجع الى مصر

ولما أطل على ربوعها ملك فؤاده السرور فقال

أبابل رأى العين أم هذه مصر فاني أرى فيها عيوناً هي السحر
نواصس أيقظن الهوى بلا حظ تدين لها بالفة ككة البيض والسمر
فان يك موسى أبل السحر مده فذلك عصر المعجزات وذا عصر
ومر بعد ذلك بقصر الجزيرة فتذكر أيام اسماعيل فقال قصيدة مطلعها
هل بالحى عن سرير الملك من يزعم هيهات قد ذهب المتبوع والتبع
هذى الجزيرة فانظر هل ترى احداً ينأى به الخوف أو يدنو به الطمع
كانت منازل أملاك اذا صدعوا بالأمر كادت قلوب الناس تصدع
زالت فما زالت الدنيا لفرقتهم ولا تعطلت الأعياد والجمع
وكان كثير المعارضة للمتقدمين من الشعراء كالنايفة وأبى نواس
وأبى فراس وغيرهم فن ذلك أنه عارض أبان نواس في قصيدته التي مطلعها
اجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير
بقصيدته التي مطلعها

تلاهبت ألا ما يحن ضمير ودائرت ألا ما ينم زفير

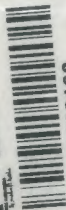
وهل يستطيع المرء كتمان سره
 فيا قاتل الله الهوى ما أمره
 تلين اليه النفس وهي آية
 ومنها يفتخر

إذا صلت كف الدهر من غلوائه وان قلت قصمت بالقلوب صدور
 ولي شيمة تأبى الدنيا وعزمة ترد لها م الجيش وهو يمور
 إذا سرت فالأرض التي نحن فوقها مراد لمهرى والمعامل دور
 فلا عجب إذا لم يصرفني منزل فليس لمقبان الهواء وصور
 ومن قوله وهو في جزيرة أقر يطش يصف حاله ويتشوق إلى مصر
 آخذ السكري بمعاقد الاجفان وهذا السرى بأعنة الفرسان
 والليل ملشور النواذب ضارب فوق المتالع والربى يجران
 لائستين العين من ظلماته إلى الاشتعال أسنة المران
 تسرى به ما بين لجة فسطح تسمو غواربها على الطوفان
 إلى أن قال

وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا يتكلمون بالسن النيران
 فإذا الجبال أسنة وإذا الوها د أعنة والماء أحرقان
 فزعت فزعت الحنين وانما تحناتها شجن من الاشجان
 إلى أن قال

تقموا على وقد فتكت شجاعتى ان الشجاعة حلية الفتيان
 فلئن رجعت وسوف ارجع واتقأ بالله أطلعت الزمان مكاني
 وتوفي يوم الاثنين لخمس خاؤون من شوال سنة ١٣٧٦ هـ فشيئت جنازته
 باحتفال عظيم رحمه الله رحمة واسعة ومن آثاره الادبية مخناراته وديوانه

Bibliotheca Alexandrina



0432168